7me Année No. 299 — Lundi - 27 - 3 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٩٩ «القاهرة فى يوم الاثنين ٦ صفر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٧ مارس سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــرس

المسلمون والإسلام

رسـالة الأزهر ...

دار الرسالة ـ والفضل لله ـ ملتقى مفكرى الإسلام العرب وغير العرب ، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، يزورونها أول ما يزورون من معاهد الثقافة بالقاهرة ، فنتناقل الحديث ونتذاكر الرأى فى موقف المسلمين اليوم من قراع المذاهب ، وصراع القُوى، واهتلاك الدول فى التسلح بالعلم والدعاية دائمة، واحتفاز الأمم فى التقوّى بالتعلم والعمل والانتاج ، فنتبين من وراء الحديث أن الإسلام فى غير بلاد العرب خِلْط عجيب من العقيدة السالفة، والصوفية الزائفة، والأساطير الموروثة، والتفاسير الخاطئة؛ ثم استحال هذا الخلط على تراخى الزمن وانقطاع الصلة واستعجام اللسان إلى مُرْقد يعوق عن السعى ، ويمنع من النظر ، ويصد عن الفكر ، ويذهل شاربيه عن حركة الوجود وسير الفلك. فالمسلمون فى ألبانيا ويوغوسلافيا من بلاد المغرب ، وفى الصين وجزائر الهند من بلاد المشرق، يتميزون عن مواطنيهم بزهادة كالبلادة ، وجهالة كالموت ، وتوكل كالتواكل ؛ ويتوهمون أن الإسلام ليس من شأنه الدنيا ، وأن المسلم ليس من همه المادة ، وأن ما هم فيه من رَنَق العقيدة وظلام الفكر وخَدر الشعور إنما هو روح الدين ورضا الله وطريق الجنة . ثم لا يعدمون أن يجدوا مصدقاً لما يزعمون

فيما يقرأون من الأحاديث الموضوعة والأخبار المصنوعة والأقوال الملفّقة . فإن من محن الإسلام حين ضعف أهله وزال سلطانه ، أن امتزجت به كل نحلة ، وسرت إليه كل علة ، وترامت فيه كل حالة ؛ فكل امرئ واجد فيه ما يلائم استعداده ويناسب فهمه . وإذا كان ذلك حاصلاً بين العرب وهم أصحاب الدين وأهل اللغة ، فما ظنك بغيرهم ممن بلغتهم الدعوة مترجمة عن طريق الفرس أو عن طريق الترك بالتجارة أو بالفتح ؟

لقد عصفت بالعالم كله عواصف هوج من السياسة والاقتصاد فلم تدع فيه ساكناً إلا حركته، ولا بالياً إلا جرفته ؛ وكان لا بد للعالم الإسلامي أن يهب على دوى هذه الزعازع ، فنهض شبابه يستمدون بعدة الناس، ويتجهزون بجهاز العصر ؛ ولكن شيوخه الوانين أخذوا يعوّقونهم عن الأهبة والسعي بكلام ينسبونه إلى الله والله منه برىء. ثم كان من أثر تلك الهبّة العامة وهذه الحالة الخاصة أن نفر من كل قطر من أقطار الأرض طائفة من شباب الإسلام إلى مصر ليتفقهوا في الدين ويتضلعوا من اللغة وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، فيكونوا شهادة صادقة لحقيقة الإسلام ، وقدوة صالحة لنهضة أهله

* * *

ومصر اليوم وقبل اليوم هي بفضل الأزهر موئل اللغة ومعقل الدين ومشرق الهداية . والأزهر على الرغم مما يؤخذ عليه هو بفضل ما مكن الله له في التاريخ، وهيأ له من الموضع ، وأتاح له من المال، أقدر على تبليغ الرسالة العظمى، وتوجيه الأمة الكبرى، وتصحيح العقيدة العليا ، إذا صدق رجاله الجهاد ، وأخلصوا النية ، وأحسنوا العمل ، وذكروا أنهم جنود الله يرمي بهم العدو في كل وقت وفي كل أرض وفي أي صورة ، فيعيشون للموت كالجند ، ويعملون للحياة كالقادة ، ويعزفون عن الدنيا كالرسل . والإمام المراغي هو في رأينا خير من يضطلع بما يفهم المثقفون من رسالة الأزهر إذا لم ينله ما نال الأستاذ محمد عبده من اضطراب الريح حول مصباحه ، وانبثاث الموانع الحازلة أمام إصلاحه ؛ فإنه من أفهم الناس لمعنى الدين وروح العصر ومقتضى الحال .

ورسالة الأزهر التي يريدها الله ويرجوها الناس هي :

١ — تنقية الإسلام من العقائد الواغلة والمذاهب الباطلة والعادات الدخيلة. وسبيل ذلك أن يفسّر القرآن على هُدى الرواية الصحيحة ، وفي ضوء العلم الحديث ، تفسيراً يجمع بين ما صح من أقوال السلف ، وما صلح من آراء الخلف ؛ ثم يؤلف في الحديث كتاب جامع لما لا ريب فيه من الكتب الصحاح ، ويستعان على شرحه وتبويبه بعلوم التاريخ والاجتماع والأخلاق والفلسفة ؛ ثم يصنف في الفقه كتاب شامل على المذاهب الصحيحة يوضع متنه موادّ كالقانون ، ثم يشرح شرحاً فنيًّا يستوعب أصوله ، ويستقصى فروعه، في غير حشو ولا استطراد ولا تعمية. ثم تكون هذه الكتب الثلاثة المطولة مادة الدراسة ومرجع القضاء ومصدر الفتوى ؛ فتقرر في الأزهر ، وتنشر في الجمهور ، وتترجم إلى أكثر لغات الشرق وأشهر لغات الغرب ؛ ثم توسل إلى كل بلد يعرف الإسلام أو يريد أن يعرفه . أما ما عدا ذلك من الكتب ، فما كان صحيحاً بقي في المكاتب بقاء الآثار في المتاحف، يرجع إليه الإخصائي والمؤرخ ؛ وما كان زائفاً صنع به ما صنع عثمان بكل مصحف غير مصحفه

٢ — إعداد الوعاظ والدعاة من أهل السّن والخلق والورع، وإمدادهم بالثقافة الحديثة واللغات الحية ، وإيفادهم إلى الأمم الإسلامية البعيدة عن مهبط الوحي وموطن العروبة . ويدخل في ذلك العناية اليقظة بالبعثات الإسلامية في الأزهر ، فإنهم أقدر من غيرهم على إرشاد قومهم باللغة والقدوة والنفوذ

٣ — جعل اللغة العربية لغة المسلمين كافة ، فيكون لكل مسلم في الأرض لغتان: لغة لوطنه الأصغر ، ولغة لوطنه الأكبر. والوسيلة أن تحمل المشيخة أقطاب الرأي في البلاد الإسلامية ، بالمفاوضة أو بالائتمار ، على أن يجعلوا تعلم اللغة العربية والتكلم بها إجبارياً في مراحل التعليم المختلفة ، وأن تتكفل بإرسال المعلمين من المتخصصين في الأزهر ، فإن في شيوع العربية بين المسلمين تمكيناً لفهم الدين وتثبيتاً لمعنى الأخوة

* * *

ذلك ما يجب أن يقوم به الأزهر ؛ وذلك ما يضمن للاسلام الجدّة ، ويكفل للمسلمين الوحدة ، ويجعل للرأي المحمدي سلطاناً يُخشى في الحرب ويُرجى في السلام

احمد حسن الزيات

رقص ورقص

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان شـتاء هذا العام فى القاهرة موسماً عامراً بالمتعة الفنية التى تنتقل إليها .

شوهد فيه معرض التماثيل الفرنسية ، وشوهد فيه معرض بل معارض شتى للصور المصرية ، وشوهد فيه تمثيل فرقة من أحسن الفرق الانجليزية لروايات من أحسن الروايات القـديمة والحديثة ، وشوهد فيه أو سمع فيه شريط شامل لأغانى الموسيقار العظيم جوهان شتراوس ، الذى يقـال بحق إنه أرقص الكرة الأرضية فى مدارها ؛ إذ لم يبق فى الغرب ولا فى الشرق إنسان يرقص على الأنغام الفنية المهذبة إلا وقد رقص على أنغام جوهان شتراوس .

عازف عظيم تفيض ألحانه بالمرح والطرب والشباب والحياة .

بلغ مبلغ القادة أصحاب الفرق وهو فى الحادية والعشرين ، وعزف للملوك والملكات فغلبهم على وقار العرف ، ووقار العرش ، ووقار السن ، فى كثير من الأحيان . ومات فى التاسعة والأربعين عن مئات من أدوار الرقص على اختلافه ، وخرج من العاصمة الانجليزية قبيل موته فى أسطول من الزوارق التى تحييه بالغناء والهتاف ... وأوصى بعد كل هذا النجاح وكل هذا الطرب وكل هذا السـرور الذى أمتع به الناس . فبماذا أوصى ؟

بأعجب ما يخطر على بال ... أوصى ألا يتعـلم أبناؤه الصناعة الموسيقية أبداً ، وأن يختاروا ما شاءوا من الصناعات إلا صناعة أبيهم ... فأنبأنا بذلك نبأ ليس بالجديد ، وإن كان لنسيان الناس إياه قد يحسب من الجديد الغريب : ذلك أن حياة الفن حياة فداء لأنها حياة فتوح . فما من فنان عبقرى إلا وهو فاتح بمعنى من معانى الفتح والجهاد ؛ وكل جهاد فداء ، وكل فداء فيه ألم محقق ، وللنصر بعده سرور مشكوك فيه ، لأنه سـرور يتمناه من قد حرمه من النظارة المتفرجين ... أما صاحبه فقلما يحسه من قريب .

على أن أبناءه قد خيبوا حنانه وإن لم يخيبوا ظنه ، فقد نشأوا جميعاً موسيقيين ناجحين مشهورين ، وأوشكت أعمالهم أن تلتبس بأعمال أبيهم ، ولم نسمع أن أحداً منهم أوصى بمثل وصيته فى ساعة الوفاة ، ولم نسمع بأعقاب لهم فى عالم العزف والغناء !

***

كانت الليلة التى قضيناها فى سمـاع « شتراوس » من ليالى الفن النادرة ؛ وكانت دار الصـور المتحركة مكتظة بالسامعين ؛ وكان تسعة أعشارهم من الأوربيين ، والعشر الباقى من المصريين الذين لا يسيغون ما يساغ من ذلك الغناء الشائع فى بلادنا ، إن صحت تسميته بالغناء .

وسألنا أنفسنا : أين يختلف الفنان وهما على حسب المفروض أو المظنون من معدن واحد ؟

إن موسيقى شتراوس إحدى الموسيقات التى يصح أن تسمى غنائية بسيطة تمييزاً لها من الموسيقى العويصة المركبة التى يريدها عشاق فاجنر ، أو الموسيقى العقلية الصافية التى يذيعها فى هـذا العصر ستافنسكى الروسى Stavinsky ؛ فإذا كانت هذه الموسيقى الغنائية لا تساغ فى مصر فـا الفارق بينها وبين موسيقى الغناء الشائع بين الجمهرة « السامعة » من سواد المصريين ؟

الفارق أنك لا تستطيع أن تضع موسيقى شتراوس على لسان حيوان .

فهى تمثل المرح ، ولـكنه مرح الفكر الإنسانى حين ينشط فيملى نشاطه على الحواس والأعضاء .

فالراقص على أنغام شتراوس إنما يرقص لأن له نفساً إنسانية قد شـاع فيها السـرور فنهضت بالجسم الذى هى فيه إلى الحركة الموزونة والنشاط المنسوق .

أما المرح الذى تمليه الأغانى السـقيمة عندنا فهى تمثل الحيوانية كما مسخها الإنسـان حين استغرقها كلها فى الشهوة والخلاعة ، والحيوان لا يعرف الخلاعة فى الشهوات كما يعرفها الإنسان الممسـوخ

ومرقصات شتراوس لا تخلو من بعض الشجا وبعض الأنين ولـكن أى شجا ؟ وأى أنين ؟

شجا إنسان وأنين إنسان .

أما هذه الشكايات التى نسمعها فى الأغانى السـقيمة فليس فيها قط ما يستكثر على حيوان .

فإن الحيوان ليحس الانقباض ويحس الألم ، وإذا ضرب أو سقم فترجمت شكايته كلاماً عربياً فليس بالـكثير عليه أن يقول « آه » وأن يذكر اللوعة والسهر والصيام عن النوم والطعام

أما الأنين الذي يريك فكراً يتألم ، أو يريك معنى إنسانياً في حالة الشكاية والقنوط ، فذلك شيء مختلف جد الاختلاف عن هذه الكلمات التي لا تعدو أن تكون صرخات حيوان ، مترجمة إلى عبارات الإنسان

* * *

ومن الظلم للفن أن نطلق اسم الفنون على هذه الأغاني المرقصة التي تهتز لها أعطاف بعض السامعين في الأقطاب الشرقية

فالحق أنها نقيض الفنون في جوهرها المشترك بين جميع المعاني الفنية

لأن الجوهر المشترك بين جميع المعاني الفنية هو تغليب الفكرة على المادة ، أو سيطرة المعاني على الأشكال

فالرخام مادة تتغلب عليه فكرة الفنان فإذا هو مثال لمعنى من معاني الجمال

والكلمات مادة مبعثرة تتغلب عليها فكرة الشاعر أو الكاتب فإذا هي وحي ناطق بأحاسيسه ومعانيه

والجسم مادة تتغلب عليه الحركة الموزونة فإذا هو رقص يريك كيف تساق الأعضاء في مطاوعة الألحان والأصداء ، وكيف تخضع الأجسام لإملاء النظام والرواء

كل فن فهو فكرة غالبة على مادة ، أو معنى غالب على شكل ، أو فوضى ممثلة في صورة جميلة

فما هي المرقصات التي تهز الأعطاف بين جمهرة السامعين من سواد الشرقيين

هي نقيض ذلك

هي غلبة الجسدي على المعنوي ، وهي طغيان المادية على المطامح الإنسانية ، وهي انقياد وليست هي بإخضاع وترويض وتنظيم

هي الشيء الذي يذهب سفلاً حين يذهب الفن صعداً ، وهي الفتور الذي يهبط بالأجسام إلى مهاوي الشهوات ، وليست هي بالنشاط الذي يطير بالأجسام في فضاء المرح والطلاقة

وقد تسف وتنحدر من سماء شتراوس إلى حضيض «الجازبند» الذي لا شك في غلبة الشهوات عليه ، فهل من عين بصيرة يغم عليها الأمر فلا تبصر الفارق بين شهوات الجازبند وشهوات المرقصات المعهودة في هز الأعطاف وتحريض النزعات ؟

الجازبند مرح جسدي ، ولكنه مرح حيوان صحيح ممتلئ رغبات الحياة يصول في حركة حية لا تعرف الإعياء

أما « هز الأعطاف » المعهود فهو مرح جسدي أيضاً ولكنه يذهب بصاحبه إلى السرير ولا يندفع به اندفاع الحيوان القوي السليم

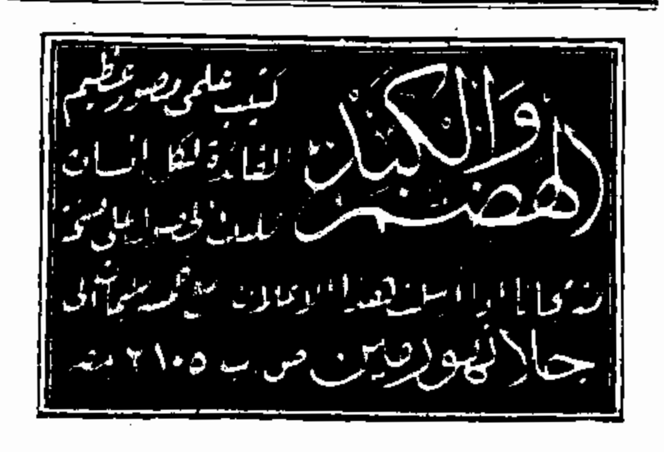
وفرق بين حيوان في سلامة الحيوانية ، وحيوان يضاف إليه مسخ الإنسانية، ولا يظفر من الحيوانية بالصحة واستقامة الفطرة

فرق بين رقص شتراوس ورقصنا ، بل فرق بين رقص الجازبند ورقصنا ، لأن رقص شتراوس معنى إنساني ، ورقص الجازبند فطرة حيوانية ، ورقص الأغاني المبتذلة عندنا قد خلا من أجمل ما في الإنسان ، وأجمل ما في الحيوان ، وجمع المسخ والتشويه في هذا وذاك

* * *

لم يكن شأننا كذلك في الزمن القديم ، لأننا نرى على المعابد الفرعونية صور الراقصات والراقصين ، ونرى في الريف المصري مثالاً متخلفاً من رقص الرجال والنساء ، فلا نجد في هذه المناظر المرسومة أو المشهودة خلاعة ولا شهوة ممسوخة ، بل نجد فيها جميعاً ما أسلفناه من غلبة المعاني وانقياد الأجساد ، أو نجد فيها صحة الفطرة واستقامة البنية الحيوانية . ولا ندري متى نعود إلى ما كنا عليه ، أو متى ندين بدين الفن الجميل في تغليب النظام على الفوضى، والفكرة على المادة، والمعاني الإنسانية على الدوافع الجثمانية. ولكننا ندري أننا عجزنا زمنا طويلاً عن إخضاع أجسادنا لأفكارنا أيام كنا بأجسادنا وأفكارنا خاضعين لغيرنا ... فقد حان إذن موعد الخلاص من قيودنا ، ولن تزال فينا بقية من قيود الأسر والاستعباد، ما بقيت الفنون عندنا فنون أجساد أو فنون استسلام وانقياد .

عباس محمود العقاد



أما لهذا الليل من آخر ؟

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

إن المسلمين اليوم فى ليل أليل لم يبق بأيديهم من مجد آبائهم إلا الذكرى ، ولا يكاد يبقى فى قلوبهم من عزة دينهم إلا القليل . لكن العجيب أن هذا القليل كلما بدأ ينمو ويشتد كما تنمو الحبة فى الأرض الطيبة إذا أصابها غيث ، نجم للدين من بين من أنعم الله عليهم من أهله بنعمة البيان من يصرف بيانه فى ما من شأنه أن يعوق ذلك النمو . وليس يهم أكان ذلك عن قصد أم عن غير قصد فإن النتيجة للمسلمين واحدة فى الحالتين

ومن أقرب الأمثلة لهذا وأغربها الكلمة التى أرسلها على الناس الكاتب المعروف الأستاذ توفيق الحكيم من برجه العاجى فى رسالة هذا الأسبوع . فقد كتب يعجب مما سماه قيام القيامة فى الجامعة « ضد كتابين قيمين » لاشتمالها على طعن فى الإسلام ، وزعم أن هذا الذى سماه فزعاً من كل كلمة تمس الإسلام أكبر مسبة لهذا الدين العريق العميق ، لأنه يوهم أنه دين ضعيف يخشى عليه من طعن الطاعنين مع أنه دين متين ثبت على الأحداث فلا خطر عليه من كتاب يؤلف أو عبارة تقال طعناً فيه . ثم يمضى فيعرب عن دهشته أن يكون مظهر هذا الفزع فى الجامعة التى فيها شباب « انغرست فى قلبه العقيدة الحارة فلا خوف الآن عليه من مناقشة المسائل العقلية فى جو الحرية » ويختم بقوله إن صحة العقيدة كصحة الجسم لا بد لها من الهواء الطلق لتكتسب المناعة ، ولا خير لها فى أن تحاط ببيت من زجاج

هذا ما قاله الأستاذ توفيق الحكيم كأحسن ما نستطيع أن ننصفه به فى التلخيص .

أنه أولاً يكتب من غير أن يعرف فيما يبدو حقيقة المسألة التى يكتب فيها . لأن المسألة فى أحد شقيها على الأقل ليس فيها شىء يتعلق بمناقشة المسائل العقلية فى جو الحرية ، لأن أحد الكتابين المشكو منهما على الأقل ليس بكتاب مسائل عقلية تدرس وتناقش فى جو من الحرية أو من غير الحرية ولكنه قصة كبعض قصصه هو ورد فيها ذلك الطعن المجوج على لسان بعض أشخاصها . فليت شعرى كيف فات الأستاذ توفيق الحكيم معرفة ذلك حين كتب عن «مناقشة المسائل العقلية فى جو الحرية؟» أم كيف ، وقد عرفه ، فاته أن ينصف الطلبة حين شكوا من ذلك الكتاب؟

ثم هو فيما يظهر لا يجعل الناس سواسية فى حرية القول والتفكير التى يدعو إليها ، وإلا فلماذا لا يترك للطلبة الحرية فى أن يشكوا من الشكوى أو حلوها ويقيموا القيامة إذا شاءوا على كتابين يطعنانهم فى شىء يعزونه ويقدسونه ولا يريدون أن يسمعوا فيه طعناً ولا تجريحاً ؟ أفمن الحرية أن يقرّر فى الجامعة من قرر دراسة ذينك الكتابين ، ولا يكون من الحرية أن يشكو الطلبة منهما كى يستبدل بهما غيرهما من الكتب الأدبية الراقية الكثيرة الخالية من الطعن فى الإسلام ؟ أفيعاب الطلبة أو الشباب ذوو « العقيدة الحارة » أن يغضبوا لدينهم فيأبوا أن يقرأوا طعناً فيه ، ويطالبوا بتحقيق المصلحة لهم من غير إلحاق مضرة بهم فى الدين ، ولا يعاب من اختار ذينك الكتابين للدراسة عن جهل بما فيهما أو عن استهانة بالشعور الدينى فى المسلمين ؟

إن الذى يقرأ كلام توفيق الحكيم يظن أن الطلبة أكرهوا على ترك كتابين حبيبين إليهم خوفاً على الدين فى نفوسهم من طعن ورد فيهما ، ويفهم أن الكاتب يشير إلى أن هناك تعدياً على حرية التفكير والدرس باسم الدين . والأمر بالعكس ، فحرية التفكير والدرس تقضى بألا يدرس ذانك الكتابان فى الجامعة لأن الذى سخطهما هم الطلبة الذين يريد توفيق الحكيم لهم حرية الدرس والتفكير . فهل حرية التفكير والدرس عند توفيق الحكيم ليس معناها حرية الدرس والتفكير ؟ إن الطلبة هم الذين شكوا أولاً إلى الأستاذ وأبلغ الأستاذ شكواهم إلى العميد ، فلما لم يُشكهم العميد اعتماداً على ما يعتمد عليه توفيق الحكيم من أن الدين لا خطر عليه جهروا بشكواهم للجرائد ، فاهتم بالأمر شيخ الأزهر ووزير المعارف وكان أن سحب الكتابان . فإذا كانت هذه قيامة فمن الذى أقامها ؟ مَن طلب تغيير الكتابين فى هدوء بالطريق

القانونى أم من أبى عليهم ذلك التغيير رغم كثرة الكتب الأدبية القيمة البريئة من الطعن فى الدين ؟

إن المناعة فى العقيدة التى يطلبها الأستاذ الحكيم للطلبة وللناس هى بالفعل عند هؤلاء الطلبة الذين أبوا ذينك الكتابين. وما هى المناعة فى العقيدة إن لم تكن هذا الإباء إباء الإصغاء للطعن فى الدين من غير موجب ولا داع ؟ وما هى إن لم تكن إقامة القيامة على كل ما يسئ إلى الدين فى النفوس ؟ إن أول ما يفعله الجسم امتناعاً على الأمراض هو ألا يسمح لجراثيمها بدخول الجسم إن أمكن . ومن هنا تجمد الدم أو محاولته أن يتجمد على الجرح ليسده دون الجراثيم . ومن هنا المصفيات والمطهرات المختلفة فى مداخل الهواء والغذاء إلى الأجسام . أما إذا دخلت الجراثيم فليس للجسم وسيلة إلى الامتناع منها إلا شن الغارة عليها وإقامة القيامة ضدها على حد تعبير الأستاذ توفيق الحكيم . وهذا بالضبط هو ما فعله الطلبة حين أحسوا من ذينك الكتابين بالجراثيم التى تهدد صحة العقيدة والدين فيهم . وقد كتب الله لهم النصر فى الدور الأول من أدوار الامتناع والكفاح فسدوا الجرح الذى يمكن أن تدخل منه تلك الجراثيم ، وكفاهم بذلك الحاجة إلى كفاح تلك المطاعن بعد دخولها فى النفوس

من البرج العاجي

القوة الحقيقية للرجل هى أن يستطيع أن : « يقول ما يريد وقتما يريد أن يقول » . والرجولة الحقيقية هى أن يبذل المرء دمه وماله وراحته وهناءه ودعته وطمأنينته وأهله وعياله وكل أثير عنده وعزيز عليه فى سبيل شىء واحد : « الكرامة » . والكرامة الحقيقية هى أن يضع الإنسان نفسه الأخير فى كفة وفكرته ورأيه فى كفة ، حتى إذا ما أرادت الظروف وزن ما فى الكفتين رجحت فى الحال كفة رأيه وفكره . كل عظماء التاريخ كانوا كذلك . بل إن مصر الفقيرة اليوم فى العظماء قد عرفت ذات يوم رجالاً من هذا الطراز . رجال لم يترددوا فى تضحية كل شىء من أجل فكرة ، والنزول عن كل متاع من أجل رأى . بمثل هؤلاء الرجال ربحت مصر كثيراً فى حياتها المعنوية والفكرية . بل إنى لا أبالغ إذا قلت إن الأمم لا تبنى ولا تقوم إلا على أكتاف هؤلاء . وإن الخطر المخيف هو يوم تخلو أمة من أمثال هؤلاء . نعم . وإنه ليخالجنى الآن شىء من القلق إذ أنظر حولى فلا أكاد أرى فى مصر أثراً لهذه الفئة العظيمة . فناموس اليوم هو وطء الفكرة بالأقدام ركضاً خلف الجاه الزائف والمال الزائل ، وإنكار الرأى والجبن عن إعلانه حرصاً على الراحة وإيثاراً للطمأنينة . وهكذا قد خلت صفحة تاريخنا من أسماء العظماء هذه السنوات ، وعجت بلادنا بأصحاب الألقاب وحملة الشارات وراكبى السيارات ! وحق لنا جميعاً أن نسأل هذا السؤال : ما هى المعجزة التى تنهض هذا البلد وهو على هذا الخلق ؟ ! وهل يطول غضب الله علينا فلا يظفرنا بعظيم من هؤلاء العظماء الذين يستطيعون أن يردوا الاعتبار إلى قيمة الرأى ، ويطهروا النفوس من درن المادة ، ويعيدوا المثل العليا النبيلة إلى مجدها القديم ، ويرتفعوا بالأمة كلها فى لحظة إلى سماء الخلق العظيم ! إذا حدث ذلك فقد نجونا . وإذا لم يحدث ذلك فلا شىء ينتظرنا غير انحلال أكيد ، وهبوط إلى مرتبة العبيد .

توفيق الحكيم

ومن العجيب أن يشبه الأستاذ الحكيم قراءة المطاعن الدينية وعلاقتها بصحة العقيدة بالمعيشة فى الهواء الطلق وعلاقتها بصحة الجسم . إنه تشبيه مقلوب على أقل تقدير. ولا ندرى كيف أمكن أن يغيب خطؤه وخطله عن مثل الأستاذ ! إنه لا يستقيم إلا إذا كان تعريف الهواء الطلق عنده أنه الذى تكثر فيه الغازات الفاسدة والجراثيم . فإذا لم يكن هذا تعريف الهواء الطلق عنده فإنا نرجو أن يرى بُعد ما بين تنفس الهواء الطلق وقراءة المطاعن الدينية ، كما نرجو أن يرى فى ضيق صدور الطلبة بما فى الكتابين من مطاعن دليلاً على فساد جوهما الروحى ، كما يدل على فساد الهواء ضيق الصدور به عند المتنفسين

لكن لعل أعجب ما فى مقال الأستاذ الحكيم جعله متانة الإسلام وثبوته على أحداث الزمان وسيلة إلى استئناس الناس لاستماع الطعن فيه بحجة أنه لا خطر على الإسلام من طعن الطاعنين؛ فإذا أبى الناس أن يستمعوا الطعن طاعن وغضبوا لدينهم عدَّ ذلك

الغضب منهم فزعاً ، وقال : إن هذا الفزع أكبر سبة لديننا العريق العميق . هذا غريب من القول وعجيب من الاستدلال . إن الإسلام متين ثابت حقاً ، لكن متانته وثبوته لا يمكن عند المنطق السليم أن يكونا مبرراً لترك خصومه يعملون المعاول فيه اتكالاً على أنها لا تضره . إنهــا لا تضر مبادئه وأصوله فى ذاتها ولكنها تضره فى نفوس أهله الذين لا يهبّون لدرء الأذى عنه حين يرون خصومه جادين فى الاستهزاء به والطعن عليه . إن الذى يصيبه الأذى بالسكوت على الطعن فى الدين هو التدين فى نفس المتدين الساكت . وإذا استمر على السكوت فسيسلمه من غير شك إلى الهلاك

ولست أدرى كيف غاب عن الأستاذ الحكيم أن المسلمين لو كانوا راضوا أنفسهم منذ بدء الإسلام على ما يريد الآن أن يروضهم عليه من السكوت على الطعن فى الدين ما ثبت الإسلام للأحداث ذلك الثبوت الذى يتخذه الآن حجة يخطئ بها الناس فى غضبهم للدين . ولماذا نذهب به بعيداً ؟ لنفرض أن المطعون فيه من غير عقل ولا روية هو توفيق الحكيم وفنه ومقدرته . ولنفرض أننا خاطبناه بما يخاطب به الناس فطلبنا إليه ألا يغضب ولا يدفع عن نفسه ولا يدع أحداً من أنصاره يغضب له أو يدفع عنه ، لأن فنه ظاهر العبقرية فلا خطر عليه من طعن طاعن مبطل ، ولأن الغضب والدفاع يوقعان فى الوهم أن فن توفيق الحكيم ضعيف لا يثبت على الطعن والتجريح ؛ ولنفرض أنه وأنصاره عملوا برأيه هذا فلم يغضبوا له ولم يدفعوا عنه ، ماذا يبقى على هذا من فن توفيق الحكيم أو صيته بعد قليل ؟ لا شىء ، فسيألف الناس حتى أشدهم تعصباً له سماع القالة فيــه ، وسيهون أمره عليهم بالتدريج حتى يدخل عليهم الريب فى أمره ويسلمهم الريب إلى تصديق كل ما قيل فيه

على أن الناس ، مهما قام بتغيير رأيهم فى توفيق الحكيم من نعمة التسلى بفنه وقصصه ، سيظلون هم الناس لم يمسس أرواحهم خطر ولا سوء . لكن ليس الأمر كذلك إن هم ألفوا الطعن فى الدين وصاروا إلى الرضا به والسكوت عليه . إنهم سيهلكون حتماً فى الآخرة إن لم يهلكوا فى الدنيا ، أو على الأقل هكذا يعتقد الناس . وسيعتقد ذلك معهم توفيق الحكيم حين يقرأ ما قرأوا من قوله تعالى : (وقد نزّل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . إنكم إذن مثلهم . إن الله جامع الكافرين والمنافقين فى جهنم جميعاً .)

والقيامة التى قال توفيق الحكيم إنها قامت ضد الكتابين فى الجامعة ليست بأكثر ولا أقل من إصرار الطلبة على تغيير الكتابين المستهزأ فيهما بدين الله بآخرين ليس فيهما استهزاء . فماذا فى طلبهم هذا يا ترى مما يجعل مثل الأستاذ الحكيم يسميه قيامة ويرسل من أجله سهامه على الناس من برجه العاجى ؟

على أنه سواء أقامت القيامة بعملهم ذلك أم لم تقم فإن الطلبة الذين استجابوا لصوت ضميرهم فى ذلك إنما كانوا عاملين بتلك الآية الكريمة من حيث علموها أو من حيث لم يعلموها ، فهم فيما عملوا كانوا من غير شك على صواب . وسيجزيهم الله خير الجزاء من فضله على ما جاهدوا فى سبيل الإسلام .

محمد احمد الغمراوى

دراسات في الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

أمثلة من النقد في الأدب العربي [1]

١ — نقد الجزئيات :

قال امرؤ القيس في فرس :

وأركب في الروع خيفانة ... كسا وجهها شعر منتشر

فقال النقاد: هذا غلط في مدح الخيل لأن انتشار الشعر على الوجه عيب فيهن

وقال زهير في الضفادع :

يخرجن من شربات ماؤها طحل
على الجذوع يخفن الغم والغرقا

فقالوا : هذا جهل بطبيعة الضفادع فإنها لا تخاف الغرق

وقال أبو ذؤيب الهذلي يصف فرساً :

قُصِر الصبوح لها فشُرّج لحمها ... بالنيّ فهي تثوخ فيها الأصبع

قال الأصمعي : حمار القصّار خير من هذا . وإنما يوصف الفرس بصلابة اللحم

وقال أبو تمام :

ألذ من الماء الزلال على الظما ... وأطرف من مر الشمال ببغداد

أخذ عليه القاضي الجرجاني أنه جعل الشمال طرفة في بغداد ، وهي أكثر الرياح هبوباً بها ... الخ

فهذه أمثلة من الغلط في طبائع الأشياء

وقال أبو تمام :

اسق الرعية من بشاشتك التي ... لو أنها ماء لكان مَسوسا
إن البشاشة والندى خير لهم ... من عفة جمست عليك جموسا
لو أن أسباب العفاف بلا تقى ... نفعت لقد نفعت إذاً إبليسا

قال القاضي الجرجاني : فليت شعري لو أراد هجوه ، وقصد الغضّ منه هل كان يزيد على أن يذم عفته ويصفها بالجموس والجمود وهما من صفات البرود والثقل ثم يختم الأمر بأن يضرب له إبليس مثلاً ويقيمه بإزائه كفواً ؟

وقال أبو الطيب في مطلع قصيدة :

وفاؤكما كالربع : أشجاه طاسمه ... بأن تسعدا ، والدمع ، أشفاه ساجمه

وقال القاضي الجرجاني : ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة والتعقيد المفرط فيشك أن وراءها كنزاً من الحكمة ، وأن في طيها الغنيمة الباردة ؟ حتى إذا فتشها وكشف عن سرها وسهر ليالي متوالية فيها حصل على « أن وفاءكما يا عاذليّ بأن تسعداني إذا درس شجاني ، وكلما ازداد تدارساً ازددت له شجواً كما أن الربع أشجاه دارسه » . فما هذا من المعاني التي يضيّع لها حلاوة اللفظ ، وبهاء الطبع ، ورونق الاستهلال ، ويشحّ عليها حتى يهلهل لها النسج ويفسد النظم ، ويفصل بين الباء ومتعلقها بخبر الابتداء قبل تمامه ، ويقدم ويؤخر ، ويعمي ويُعوص . ولو احتمل الوزن تركيب الكلام على صحته فقيل : وفاؤكما بأن تسعدا أشجاه طاسمه كالربع . أو وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه . لظهر هذا المعنى المضنون به المتنافس عليه ... الخ

وقال المتنبي في مدح سيف الدولة :

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضّاح وثغرك باسم

فقال سيف الدولة : ينبغي أن تطبّق عجز (البيت) الأول على الثاني وعجز الثاني على الأول وأنت في هذا مثل امرىء القيس في قوله :

كأني لم أركب جواداً للذّة ... ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزقّ الرويّ ولم أقل ... لخيلي كرّي كرّة بعد إجفال

قال المتنبي : أدام الله عز مولانا ؛ إن صح أن الذي استدرك هذا على امرىء القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا . ومولانا يعرف أن البزاز لا يعرف الثوب معرفة الحائك لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفصيله ؛ لأنه أخرجه من الغزليّة إلى الثوبيّة ؛ وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة في شراء الخمر بالشجاعة في منازلة الأعداء .

وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه ؛ ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية قلت : ووجهك وضّاح وثغرك باسم لأجمع بين الأضداد في المعنى .

٢ — ومن قولهم في نقد الشعراء :

(١) جمعنا هذه الأمثلة تيسيراً على الباحث ويحسن الرجوع إلى الكتب المبينة في هذا الفصل

كان النابغة أحسن الناس ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأذهبهم فى فنون الشعر وأكثرهم طويلة جيدة ، ومدحا وهجاء وفخرا وصفة .

وروى أن عمر بن الخطاب قال: أنشدونى لأشعر شعرائكم. قيل: ومن هو ؟ قال: زهير. قيل: وبم صار كذلك ؟ قال: كان لا يعاظل بين القول ولا يتبع حوشى الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما فيه .

وفى الشعر والشعراء : كان أوس بن حجر عاقلاً فى شعره كثير الوصف لمكارم الأخلاق وهو من أوصفهم فى الخمر والسلاح ولا سيما القوس . وسبق إلى دقيق المعانى وإلى أمثال كثيرة .

وقال الجرجانى :

« ولو تأملت شعر أبى نواس حق التأمل ثم وازنت بين انحطاطه وارتفاعه وعددت منفيه ومختاره لعظمت من قدر صاحبنا (يعنى المتنبى) ما صغرت ، ولأكبرت من شأنه ما استحقرت ، ولعلمت أنك لا ترى لقديم ولا لمحدث شعرا أعم اختلافا وأقبح تفاوتا ، وأبين اضطرابا ، وأكثر سفسفة ، وأشد سقوطا من شعره » يعنى أبا نواس .

وفى العمدة :

« وقال بعض من نظر بين أبى تمام وأبى الطيب : إنما حبيب كالقاضى العدل ، يضع اللفظة موضعها ، ويعطى المعنى حقه بعد طول النظر والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع يتحرى فى كلامه ويتحرج خوفا على دينه .

وأبو الطيب كالملك الجبار يأخذ ما حوله قهراً وعنوة ، أو كالشجاع الجرىء يهجم على ما يريد. لايبالى مالقى ولاحيث وقع»

٣ — ومن قولهم فى تأثير البيئة فى الأدب قول الجرجانىّ :

« ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك (الخشونة والجفاء) ولأجله قال النبى صلى الله عليه وسلم : من بدا جفا . ولذلك تجد شعر عدىّ وهو جاهلى ، أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤبة وهما إسلاميان لملازمة عدىّ الحاضرة ، وإيطانه الريف ، وبعده عن جلافة البدو ، وجفاء الأعراب .

وقال ابن رشيق :

« قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن فى وقت ما لا يحسن فى آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند غيره؛ ونجد الشعراء الحذّاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله بعد ألاّ تخرج من حسن الاستواء وحدّ الاعتدال وجودة الصنعة »

« فلما ضرب الإسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر ، ونزعت البوادى إلى القرى؛ وفشا التأدب والتظرف ، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله وعمدوا إلى كل شىء ذى أسماء كثيرة فاختاروا أحسنها سمعاً وألطفها من القلب موقعاً .. وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة الطباع والأخلاق ، فانتقلت العادة وتغيّر الرسم وانتسخت هذه السنة الخ »

٤ — ومن قولهم فى الطبع والخلق وأثرها فى الأدب قول الجرجانىّ :

« ثم قد تجد الرجل شاعراً مفلقاً ، وابن عمه وجار جنابه ، ولصيق طُنبه بكيا مُفحَما ، وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر ، والخطيب أبلغ من الخطيب . فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحدة القريحة والفطنة ؟ وهذه أمور عامة فى جنس البشر ، لا تخصيص لها بالأعصار ، ولا يتصف بها دهر دون دهر

«وقد كان القوم يختلفون فى ذلك فتتباين أحوالهم ، فيرق شعر أحدهم ، ويصلب شعر الآخر ؛ ويسهل لفظ أحدهم ، ويتوعر منطق غيره . وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق ، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة

وأنت تجد ذلك ظاهراً فى أهل عصرك وأبناء زمانك . وترى الجافى الجلف منهم كزّ الألفاظ، معقّد الكلام، وعر الخطاب ، حتى أنك ربما وجدت ألفاظه فى صورته ونغمته، وفى جرسه ولهجته»

٥ — ومن قولهم فى طرائق البيان :

قال القاضى الجرجانى: « ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحد ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه ؛ وأرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعانى فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ؛ بل ترتّب كلاّ مرتبته ، وتوفيه حقه ؛ فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ؛ فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام . فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه . وليس ما رسمته لك فى هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة ، ولا بمختص بالنظم دون النثر .

بل يجب أن يكون كتابك في الفتح والوعيد خلاف كتابك في التشوّق والتهنئه واقتضاء المواصلة ؛ وخطابك إذا حذّرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنيت .

فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه وسهل حفظه ، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس . فأما القذف والإفحاش فسباب محض ، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم »

وقال ابن رشيق في العمدة :

« يجب للشاعر أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر من جد وهزل وحلو وجزل ، وألا يكون في النسيب أبرع منه في الرثاء ، ولا في المديح أنفذ منه في الهجاء ، ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار، ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه صوتاً في سائرها؛ فإنه متى كان كذلك حكم له بالتقدم وحاز قصب السبق كما حازها بشار وأبو نواس بعده » ... الخ .

٦ — ومن قولهم في حرية الأدب قول صاحب الوساطة :

« فلو كانت الديانة عاراً على الشعراء ، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُدّت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزّبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ، وعاب من أصحابه ، بُكما خرساً وبكاء مفحمين ؛ ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر » .

٧ — ومن قولهم في صفات الناقد :

قال ابن قتيبة في مقدمة الشعر والشعراء : « ولم أقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختار له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلا حقه ، ووفرت عليه حظه . فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه ورأى قائله . ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوماً بين عباده وجعل كل قديم، منهم حديثاً في عصره»

وقال صاحب الوساطة :

« وملاك الأمر في هذا الباب خاصة (النقد) ترك التكلف ورفض التعمل والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه ، والعنف به . ولست أعني بهذا كل طبع؛ بل المهذب الذي قد صقله الأدب وشحذته الرواية، وجلته الفطنة وألهم الفصل بين الرديء والجيد، وتصور أمثلة الحسن والقبيح »

هذه أمثلة من ضروب النقد المختلفة سردتها ليلتفت طلاب الأدب إليها ، ويستزيدوا منها ، ويتبينوا ما وراءها من طرائق النقد ومذاهب النقاد . وفي كتب الأدب كثير منها ومن شاء فليرجع إلى الجزء الأول من البيان والتبيين ، ومقدمة كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي وكتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري

تاريخ الأدب

— ١ —

إذا نُقد شعراء أمة وكتابها المتعاصرون ، وقُرن هذا النقد بعضه إلى بعض وتألفت مما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه صورة لعصرهم ، وبُينت الأسباب التي اجتمعت على تأليف هذه الصورة ، ألوانها وهيئتها ، فهذا تأريخ عصر من عصور الآداب

وإذا شمل النظر عصوراً متتابعة فاستبانت صور الآداب فيها ، وعُرف تطوّر هذه الصور وانتهاء كل واحدة إلى التي تليها ، ورُدّ هذا التطور إلى أسبابه فهذا تأريخ الأدب في هذه العصور

فتأريخ الأدب وصف آداب العصور وترتيبها وتعليلها

— ٢ —

وهو كالنقد يستمد من ذوق الناقد وتقديره مزايا الكلام وعيوبه وأطواره، ومما أحاط بالأدباء من حقائق التاريخ والجغرافيا ، والاجتماع وغيرها. وعلى مؤرخ الأدب أن يلائم بين ذوقه وعلمه بهذه الحقائق فلا يحكم الذوق على غير بينة ، ولا يغفله ويعتمد في تأريخه على الحقائق العلمية الجافة ؛ بل يجعل حكمه نتاج الذوق المهيأ للحكم بمعرفة واسعة ، وتأمل دقيق ، وتقدير لأحوال الأدب بليغ، فيكون حكمه خلاصة العلم ، ونتيجة الذوق الذي لا بد منه في تقويم الأدب

— ٣ —

لم يكن تاريخ الأدب على هذه الشاكلة معروفاً لدى القدماء ؛ وإنما كان سبيلهم جمع تراجم الشعراء والكتاب ، وتبيين محاسنهم ومساوئهم ، والاستشهاد ببعض أقوالهم، ولم يكن قولهم موصلاً مستوعباً يؤلف صورة عامة للأدب في عصر أو عصور ولا كان التعليل فيها مطرّداً . فكان عمل المؤرخين تراجم متفرقة ينقصها

الجمع والمزج والترتيب والتعليل . فهى مصادر لتاريخ الأدب لا تاريخ

ومن الكتب التى ألفت على هذا النمط :

١ — طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى المتوفى سنة ٢٣١
٢ — الشعر والشعراء لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦
٣ — معجم الشعراء للمرزبانى المتوفى سنة ٣٨٤
٤ — يتيمة الدهر فى شعراء العصر لأبى منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩
٥ — الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الأندلسى المتوفى سنة ٤٢٩
٦ — دمية القصر لأبى الحسن الباخرزى المتوفى سنة ٤٦٧
٧ — قلائد العقيان } للفتح بن خاقان الأندلسى المتوفى
٨ — مطمح الأنفس } سنة ٣٣٥
٩ — سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر لصدر الدين المدنى من رجال القرن الحادى عشر
١٠ — ريحانة الألباء لشهاب الدين الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩

— ٤ —

وتاريخ الأدب كما نعرفه اليوم عرفه الأوربيون فى عصر نهوضهم ؛ سبق إليه الإيطاليون وسار على أثرهم الأمم الأخرى ولا سيما الفرنسيون . ولهم فيه طرائق مختلفة مبنية على مذاهبهم فى النقد وقد قدمنا إشارة إليها

عبد الوهاب عزام

أبو تمام شيخ البيان

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

هو حبيب بن أوس الطائى، وقد سبقه إلى صناعة البيان بشار ومسلم والحسن بن هانى، ولكنه ظهر بها ظهوراً كبيراً وحاكاه البحترى وغيره، وكان حقيقاً بسبب كثرة إجادته فى تلك الصناعة أن يسمى شيخ البيان. وكان أبو تمام يقدم الحسن بن هانى ويلقبه بالأستاذ وبالحاذق ويجاريه فى طريقته، ولكن أبا تمام قد بز ابن هانى أبا نواس فى المدح ووصف الطبيعة، وإن لم يكثر منها وفى الرثاء والأمثال والحكم، وجاراه فى وصف الخمر والغزل المذكر. وقد سئل البحترى عن أبى تمام وعن نفسه فقال : جيده خير من جيدى ورديئى خير من رديئه. وهى قولة حق، فقد كان عند البحترى من حذر ذوى الصناعة وإحجامهم ما لم يكن عند أبى تمام الذى كان أكثر جرأة فى صناعته. ولم يكن رديئه القليل عن جهل، فقد سئل فيه فقال: إن أبيات الشاعر كأبنائه فيهم الجميل وفيهم القبيح وكل منهم حبيب لدى أبيه الذى يعرف أيهم القبيح وأيهم الجميل. ولقد قال فى إساءة ظن الشاعر بشعره ويعنى نفسه :

ويسىء بالإحسان ظناً لا كمن ... هو بابنه وبشعره مفتون

ولكنه يقول أيضاً :

من كل بيت يكاد الميت يفهمه ... حسناً ويعبده القرطاس والقلم

ولا غرابة فى أن يكون قائل البيت الأول هو قائل البيت الثانى ، فإن نفس الشاعر قد تتردد بين الثقة بقوله ثقة ليس بعدها ثقة ، وبين الشك كل الشك فى مرتبته. ولعل هذا الشك وإساءة الظن مما يحفزه على استئناف الإجادة وإلى الاستزادة من الإبداع كيلا يستنيم إلى ما أجاده من سابق قوله . والشاعر الجرئ فى صنعته البيانية يكون نصب نقد الناقدين ، وعندما مدح أبو تمام أحمد بن المعتصم بقصيدته التى مطلعها : (ما فى وقوفك ساعة من باس) أنكر بعض النقاد أن يشبهه بمن هم أقل منه منزلة فى قوله :

إقدام عمرو فى سماحة حاتم ... فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

ومثل هذا النقد يهدم صناعة التشبيه من أساسها لأنه لم يشبه الممدوح بهم فى المنزلة ، وإنما يكون للتشبيه وجه شبه خاص لا يتعداه اتفاق المشبه والمشبه به ، وهذا النقد يدل إما على الإفراط فى تملق الممدوح والمغالطة مع علم ، وإما على جهل بالصناعة البيانية.

وقد دفع أبو تمام حجتهم بأن زاد فى المديح قوله :

لا تنكروا ضربى له من دونه ... مثلاً شروداً فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

وأمثال هذا النقد اللفظى كثير فقد انتقدوا أيضاً قول أبى تمام :

دنيا ولكنها دنيا ستنصرم ... وآخر الحيوان الموت والهرم

وقالوا : إن الهرم يأتى قبل الموت ولكنه أخره وقدم الموت . وهذا اهتمام بالصغائر ، فقد كان فى استطاعة الشاعر أن يقول : (وآخر الحيوان الشيب والعدم) وقد فعل المتنبى ما هو أشد من ذلك وكانت له عنه مندوحة عند ما قال :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم ... شيم على الحسب الأغر دلائل

يعنى جفخت أى فخرت بهم وهم لا يجفخون بها ، وكان يستطيع أن يقول : (فخرت بهم وهم بها لم يفخروا) فيستقيم

الوزن والأسلوب ولكن هذا لا يؤخر الشاعر الكبير ولا يقدمه. ومثل هذا النقد يغرى به الشعراء أنفسهم عند الملاحاة فقد ورد فى كتاب العمدة لابن رشيق أن مسلم بن الوليد انتقد قول أبى نواس

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا ... وأمله ديك الصباح صياحا

وقال: كيف يجتمع الارتياح والملل ؟ كما انتقد أبو نواس قول مسلم

عاصى الشباب فراح غير مُفنَّدٍ ... وأقام بين عزيمة وتجلد

وقال كيف يجتمع الرواح والإقامة ؟ وفى كل من البيتين يريد الشاعر اجتماع حالات نفسية مختلفة الأسباب . على أن أبا تمام قد يأتى فى الفلتات بما لا يستجاد مثل قوله :

بلد الفلاحة لو أتاها جَرْوَلٌ ... أعنى الحطيئة لاغتدى حَرَّاثا

و (أعنى) هنا أثقل من الرصاص

وقد عد بعض أدباء العصر أبا تمام من شعراء الرمزية ، وهذا فى رأيى غير صواب، لأن كل شاعر يستخدم الرموز، ولكن ليس كل شاعر من أدباء الرمزية . وأستطيع أن أفهم سبب عد أبى تمام من شعراء الرمزية ، وإن لم يكن كذلك ، فإنه يكثر من استخدام التشبيه والاستعارة والمجاز، فالاستعارة رمز والكناية رمز. ولكن شعراء الرمزية فى أوربا تخطوا منزلة الاستعارات والكنايات وصاروا يرمزون إلى حالات نفسية بأشياء مادية وبألفاظ أو جمل، ويقطعون الصلة بين الرموز وما يرمز لها بها اعتماداً على خيال القارئ وإحساسه وأحلامه وهواجس نفسه الغامضة ، وأحياناً يستخدمون رموزاً مدلولها أشياء مادية ويرمزون بها إلى تلك الهواجس الغامضة فى الوعى الباطن، وهى لغموضها لا تستطيع عقولهم الظاهرة تفسيرها إلا بتلك الرموز. وهذه طريقة لم يكتب فيها شاعر عربى. أما طريقة أبى تمام فهى طريقة الصناعة البيانية المألوفة وإن كان قد أبدع وأغرب فيها، وشعره شعر الخيال المشبوب بنار الشاعرية، والجيد من شعره يجمع بين القوة والحلاوة وإقناع الصنعة الفنية، وهى ليست صنعة ألفاظ فحسب بل صنعة ألفاظ وخيال وإحساس وذكاء وعقل وبصيرة. وترى فى قوة الجيد من شعره قوة الخطيب، ولا أعنى أن الشاعر خطيب فللخطيب صفات قد تغاير صفات الشعراء ، وإنما أعنى أن لشعره قوة تشبه وقع خطاب الخطيب فى الأذن فكأن له صوتاً يسمع. وإذا كان للشاعر نفسه من صفات الخطيب فهى الصفات التى يقترب الخطيب فيها من عبقرية الشاعر ومن بصيرته النافذة وخياله المشبوب، وليست الصفات التى يقترب فيها الخطيب من فن المثل وهى صفات عالية فى فنها وفى الخطابة . ولا نأسف لإضاعة شاعر من شعراء العرب فى التكسب بالمدح شعراً كان يكون أعظم شأناً فى وصف الحياة والنفس قدر ما نأسف لإضاعة أبى تمام، فإن الرجل كان قادراً على أن يبلغ ما بلغه شعراء أوربا من وصف الحياة والنفوس ومظاهر الكون ؛ على أن فى شعره فى المدح أشياء من هذه الأشياء . ولعل القارئ يقول : ولماذا لا نأسف على المتنبى قدر أسفنا على أبى تمام أو أكثر ، وليس المتنبى بأقل منزلة وهو ذو بصيرة وخيال . ولكن أبا تمام كان عنده من نشوة الصناعة البيانية أكثر مما كان للمتنبى ؛ وكان للمتنبى من قوة الشخصية وإثرتها أكثر مما كان لأبى تمام ؛ وقوة الشخصية هذه لها أثر فى الشعر يظهر فى كل أبوابه وتجعل الشاعر يترك بعده دوياً كما قال المتنبى :

وتركك فى الدنيا دوياً كأنما ... تداول سمعَ المرء أنمُلُهُ العشْرُ

أما أبو تمام فإننا نقرأ أنه كان مولعاً بالخمر إلى حد الإفراط أحياناً ، ونقرأ أنه سكر مرة فى مجلس عظيم وعربد وحُمِلَ من المجلس بين أربعة ، وأنه كان إذا أخذ صلة أمير أفناها بين الغناء والموسيقى والرياض والخمر والأوجه الوسيمة . وهذه الأمور ربما كانت تقلل نتاجه وتلهيه عن الشعر لو أنه لم يكن مضطراً إلى قرض الشعر فى المديح أو الرثاء لكسب المال، فإننا عند ما نقرأ سيرة الرجل وشعره نميل إلى الاعتقاد أن الحياة عنده كانت شعراً يُعاش وأن الشعر عنده كان حياة تكتب أو شعراً يكتب ، وأنه ما كان يلجأ إلى الشعر الذى يكتب إلا إذا سمح له أو اضطره شعر الحياة الذى يُعَاش. ولعل هذا هو سبب إقلاله وسبب موته وقد تخطى الأربعين قليلاً. وإننا نتساءل ماذا كان يكون نتاجه لو كان من المعمرين من غير أن يفنى قدرته الحيوية بالحياة ؛ ولكن من العبث التأسف ، فلعل إفناءه قدرته الحيوية بالحياة كان من لوازم نشوته الشعرية ، وإن قدرته فى صناعة البيان كانت من مظاهر انتشائه بالحياة ، وانتشاؤه بالحياة ميز شعر التكسب فى قوله عن شعر التكسب فى أقوال الشعراء الكثيرين ، فشعر التكسب فى قولهم ألفاظ ميتة مهما حاولوا إحياءها بصناعة البيان أو بالأناقة، وكانت قوة شعره مستمدة من انتشائه بالحياة، فلم تكن قوة كتلك القوة فى شعر بعض الشبان المبتدئين الذين يفتعلون القوة فيخيل للقارئ أنهم يخنقون ألفاظهم ومعانيهم كى تصيح كما تصيح الدجاجة إذا حاول الطفل الصغير أن يخنقها ، وكانت ألوان

أعلام الأدب

درامات إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

أقدم ما وصلنا سليما من مآسى إسخيلوس هى درامته البارعة (نسوة متضرعات) وهى درامة شائقة لا يعرف فى أى سنة نظمها الشاعر بالضبط، وتليها فى القدم درامة (الفُرس) فقد نظمها سنة ٤٧٢ ق. م وفى سنة ٤٥٨ تقدم إلى المباراة التمثيلية بدرامة مفقودة ففاز عليه الشاعر الشاب سوفوكليس للمرة الأولى وكان لهذا الحادث أثره الذى لم يمح من نفس إسخيلوس والذى قيل إنه هاجر بسببه إلى جيلا بعد ذلك بعشر سنين

وفى السنة التالية (٤٦٧) فاز على جميع منافسيه بدرامته (سبعة ضد طيبة)، ولا يعرف المؤرخون على وجه التحقيق متى نظم رائعته العصماء (پروميثيوث) ويظن الأستاذ جلبرت موراى أنها نظمت هى وأختها المفقودة (ليكورجيا) بعد (سبعة ضد طيبة)

وقبل أن يموت فى جيلا بعامين نظم أقوى دراماته وأعنفها (الأورستيّة) (٤٥٨ ق. م) وهى الثلاثية الوحيدة الكاملة التى وصلتنا سليمة من هذا التراث الأدبى الحافل المفقود

١ – نسوة متضرعات

نسوة متضرعات هى الحلقة الأولى من ثلاثية كاملة ما تزال حلقتاها الثانية والثالثة مفقودتين وإن يكن موضوعهما معروفاً.. والثلاثية كلها تتلخص فى أن إيجبتوس أحد أمراء مصر الشمالية كان له خمسون ولداً؛ وكان له أخ يدعى دانوس رزقه الله بخمسين ابنة ذوات جمال بارع، فحدث أن هام كل من أبناء إيجبتوس بواحدة من بنات دانوس... وتقدم إيجبتوس إلى أخيه يخطب بناته على أبنائه... وهنا تقوم عقبتان أولاهما تلك النبوءة التى تنبأ بها بعضهم لدانوس وهى أن أحد أزواج بناته سيقتله، وثانيتهما أن شريعة القوم فى هذا العصر كانت تحرم زواج الرجل من ابنة عمه وتعتبره زناً... فماذا يصنع دانوس؟ فكر الرجل ثم فكر، ثم رأى أن يفر ببناته إلى بلاسجوس ملك آرجوس إحدى ممالك اليونان... ورست الفلك على الشاطئ ونزل الركب، ولمحت إحدى البنات رجلاً عظيما بادى الوقار يتنزه هناك، فلما سألت عنه قيل لها إنه الملك. فاستأذنت أباها وذهبت إليه تدعوه إلى والدها ورحب الملك بهؤلاء المحتمين به اللائذين بظله وخصص لهم منزلاً رحباً وعيشة رغداً... وأقبل قائد مصرى بعد أيام يطلب تسليم دانوس وبناته الحسين. فجمع الملك وزراءه ومجلس شوراه، وجميع مواطنى آرجوس يعرض عليهم الأمر فأبوا جميعاً أن يسلموا اللاجئين لما فى صنع ذلك من منافاة النخوة وعدم الوفاء... فيرتد القائد المصرى، ويعود بعد أيام بجند كثيف فيغزو آرجوس ويقبض على دانوس وبناته ويعود بهن معززات مكرمات إلى مصر

إلى هنا تنتهى الحلقة الأولى... وقد سمى إسخيلوس درامته الثانية من هذه الثلاثية (فراش العرائس) أو (ماهدات فراش العرس) وفيها يتآمر دانوس وبناته على أن يقتلن أزواجهن ليلة العرس بعد أن يناموا على ألا يمكنَّهم منهن من شىء. وتُنفّذ البنات ما عاهدن عليه أباهن من هذا الإثم الإلهى إلا هيپرمسترا[1] التى استفظعت أن تريق دم هذا الجمال الشاب النائم المستسلم لها، فوقفت تنظر إلى الخنجر المشحوذ مرة، وإلى ابن عمها الذى أحبته وهويته وأغرمت به مرة أخرى فلم تر بدا من أن توقظه، وتبوح له بالسر الهائل... وهنا يستيقظ القصر كله، ويكون دانوس مرتقبا

(١) هكذا أثبتها موارى وضيف كابل (نونا) بعد الميم

البيان فى شعر أبى تمام طبيعية كألوان الحياة بالرغم من إغرابه، ولم تكن كتلك الألوان التى وضعها القرد على ما لونه المصور فى نقشه ورسمه، وقد انتهز القرد فرصة انشغال سيده المصور بأمر من أمور الحياة. وقد أسف المغاربة أيضاً لموت محمد بن هانى الأندلسى فى سن مبكرة وكانوا يأملون أن يعمر حتى يفاخروا به أكثر شعراء المشرق، وكان لابن هانى بعض مقدرة أبى تمام ولكنه لم تكن له — ثروته الشعرية فى نفسه وكان كل منهما مولعا بشعر الحياة الذى يعاش. وجرأة أبى تمام فى التشبيه والاستعارة والمجاز هى مايصح أن يسمى بالجرأة الموفقة إلا فى القليل من شعره، وهى تشبه فى المبارزة بالسيف نوعا من الهجوم إذا أجاده المبارز ترك سلاح خصمه وأصابه فى الصميم وإذا أخطأ المبارز فى هجومه سقط وسلاح خصمه فى قلبه..

« البقية فى العدد القادم » عبد الرحمن شكرى

الإشارة التى اتفق مع بناته عليها ليعلم أنهن قد قمن بواجبهن وأنفذن ميثاقهن ، لكنه لا يرى العلامة تنبثق بالضوء من شباك هيبر مسترا فيرتجف ، ويسمع إلى الضجة فيحاول الهرب ، ولكن ابن أخيه[1] ، وزوج ابنته الذى لم يقتل ، يفاجئه ثم يعالجه بضربة تقضى عليه فيثأر لإخوته وتنفذ على يديه النبوءة .

ثم تبدأ الحلقة الثالثة التى سماها إسخيلوس اا (دانايدز Danaides) أى بنات دانوس اللائى يلقين جزاءهن فى هيدز ويكلفن بملء وعاء كبير مثقوب من ماء نهر بعيد الغور وعر المنحدر فكلما جئن بجرارهن وصببنها فيه ذهب الماء ولم يبق منه شىء ، فإذا جلسن يستجممن صُب عليهن وابل بارد فيهرعن إلى عملهن وهن ناصبات لاغبات . أما هيبر مسترا فتقدم للمحاكمة بتهمتين ، أما الاولى فعصيانها أباها فيما أعطته عليه مواثقها ، وأما الثانية ، فزواجها من ابن عمها وهو زنا فى نظر الشريعة المعمول بها حينذاك .

كيف حلّ إسخيلوس هذه العقدة ؟ وفى أى الجانبين يقف ؟ فى جانب القاتلات ، أم فى جانب الزوجة الوفية التى استنكرت القتل ؟ يبدو لنا أنه آثر أن يقف إلى جانب هيبر مسترا ، لأنه أتى لها بربة الحب ڤينوس (أفروديت) فشفعت له وبرأت ساحتها . ولا ندرى هل عادت إلى زوجها أم حيل بينهما ... لم يذكر لنا التاريخ شيئاً من ذلك !

وتمتاز هذه الدرامة بالإكبار من شأن الديمقراطية التى أبداها الملك بلاسجوس عند ما جمع كل المسئولين من رعاياه ليشاورهم فيما طلب قائد أبناء إيجبتوس ، كما تمتاز بهذه السخرية اللاذعة من تلك الشريعة الفاسدة التى كانت تحرم زواج البنت من ابن عمها وتعتبره زنا إذا تم .

٢ — الفرس

ودرامة الفرس هى الحلقة الثانية من ثلاثية ماتزال أولاها وثالثتها مفقودتين ... والأولى عن البطل فنيوس Phineus كاهن أسطول الأرجنوت الأعمى وباسمه تُدعى . والحلقة الثالثة تدعى جلوكوزوهو الصياد الذى تحول إلى إله من آلهة البحار وأغرم بالهولة سكيلا .

وقد جعل إسخيلوس مسرح هذه الدرامة فى سوسا وجعل جميع أبطالها من الفرس ، وفيها تبدو أتوسه أم أجزرسيس وزوجة دارا ، وهى تقص رؤيا مزعجة على بطانة من حاشيتها ، فما يكادون يطمئنونها حتى يدخل رسول فيقص نبأ الهزيمة النكرة التى منى بها إجزرسيس وأجناده فى سلاميس ، وبذا تتحق رؤيا أتوسه ، وتأمر حاشيتها بتقديم القرابين لاستحضار روح دارا ... وتبدو روح الإمبراطور الراحل فتأخذ فى سب إجزرسيس ، وتنعى عليه طيشه وقلة بصره بمزالق السياسة ، وإقدامه على محاربة اليونان دون رجوع إلى أهل الرأى . ثم يدخل إجزرسيس فيأخذ هو الآخر فى حزن طويل يشاطره إياه وزراؤه ومشيرو السوء الذين لم ينصحوا له بما كان يحول بينه وبين تلك الكارثة

والدرامة قطعة فنية رائعة ، وقد خدمت التاريخ ووصفت سلاميس وصفاً عجز عن الأتيان بمثله أبو التاريخ هيرودوتس . ولا غرو ، فقد حضر إسخيلوس سلاميس وجاهد فيها جهاد الأبطال ... غير أن قيمة الدرامة فى ناحيتها الدستورية التى نعى فيها إسخيلوس على الاستبداد والمستبدين بقدر ما أكبر من شأن الحرية والشورى ... ومع أن الشاعر يرفع فى درامته هذه من شأن أثينا فإنه لم يقلل من قدر المنهزمين . بل هو قد أثنى على الفرس وقار العدو العظيم فلم ينتقص من شأنهم ولم يقدح فيهم ، وبذا كان دراميا عادلاً

٣ — سبعة ضد طيبة

هذه الدرامة هى الحلقة الثالثة من ثلاثية ما تزال حلقتاها الأولى (لايوس) والثانية (أوديپوس) مفقودتين . وتتلخص لايوس وأوديپوس فى هذه الأحداث المؤلمة التى حاقت ببيت لايوس ملك طيبة وزوجته جوكاستا . فقد رُويت لهما نبوءة تقول إنه سيولد لهما طفل يقتل أباه ويتزوج أمه ويقضى بالشقاء على ذريتهما . فلما ولد لهما طفلهما الوحيد بعثا به إلى الجبل ليقتله أحد رعاياهما ، لكن الرجل أشفق على الطفل فتركه ثمة وعاد بدم كذب على قميصه وادعى أنه قتله . وعثر أحد القضاة على الطفل ملقى فى شجرة وقد ورمت قدماه ؛ فأخذه وسماه أوديپوس : (أى ذا القدمين المتورمتين) . وشب أوديب وتعلم الفروسية فى بلاط ملك كورنثه . ثم حدث أن هجر البلاط لخلاف بينه وبين أحد الأمراء الذى غمزه فى نسبه وهاجر إلى دلفى يستوحى الكهنة فيما غمزه به هذا الأمير . وقيل له

(١) واسمه لينيوس

إنه سيقتل أباه ويتزوج أمه ، ويجر الشقاء على أبنائه ... فانطلق والهم والحيرة يعزقان قلبه ... فبينما هو فى طريقه إذا قائد عظيم يأمره أن يتنحى عن الطريق حتى يمر مولاه أولاً . فلم يمتثل أوديب وانقض على القائد فقتله . ثم جاءت عربة فنزل منها الحرس فنازلهم وقتلهم . ثم نزل منها رجل عجوز شيخ فنازله وقتله ، ولم يكن هذا الرجل سوى لايوس الملك والد أوديب الذى كان ذاهباً إلى دلفى يستوحى كهنتها فى أمر مما نزل بطيبة، ويمم أوديب شطر طيبة فوجد الناس فى فزع من أمر تنين (سفنكس) يقف عند باب المدينة من جهة البحر بالمرصاد لكل داخل أو خارج : يقول التنين « ما حيوان تكون له أرجل أربع فى الصبح ، واثنتان فى الظهر وثلاث فى المساء ؟ » فإذا لم يجب الشخص افترسه التنين فى الحال .. وقد حار الناس فى تأويل هذه الأحجيّة ، ونذروا لمن يخلصهم من التنين أن يتزوج ملكتهم الأرمل زوجة لايوس وأن يتربع على عرش مملكتهم ... سمع أوديب أهل طيبة يهمسون بذلك ، وكان قد برم بحياته فاعتزم أن يلق التنين فإما أن يقتله وينقذ طيبة من شره وإما أن يريحه التنين من الحياة ... وأول أوديب الأحجية بأن الحيوان المقصود هو الإنسان بعينه، فهو يحبو صغيراً على أربع، ويدب شاباً على رجلين، ويتوكأ على عصا إذا بلغ به الكبر عتياً .. ثم انقض على التنين فقتله ، وبذا تربع على عرش طيبة وتزوج الملكة التى هى أمه وهو لا يدرى ...

بذلك تحقق شطر النبوءة الأول ثم شطرها الثانى ... ثم يجتاح طيبة طاعون هائل ويذهب الناس إلى دلفى يستوحون كهنتها فيقال لهم إنه لا بد من القصاص من قاتل الملك لايوس ليرتفع أذى الطاعون عن طيبة ... وهنا ينتشر الجواسيس والرقباء فى كل فج يجمعون الأخبار ويتجسسون أنباء القاتل فيتبين أنه أوديبوس الجالس على عرش طيبة وأنه هو نفسه ابن لايوس وابن الملكة جوكاستا ... ويعترف الخادم الذى عهد إليه بقتل الطفل بأنه لم ينفذ ما أمر به ، فيذهل أوديب وينطلق إلى الغابة فيسمل عينيه ويهيم على وجهه حتى يموت

ثم تبدأ حوادث الدرامة الثالثة (سبعة ضد طيبة) ... فقد ترك أوديب ولديه إتيوكليز وبولينيسيز[1] يتنازعان العرش كما ترك ابنتين[1] أخريين نظمت فيهم جميعاً درامات كثيرة ... ويتفق الشقيقان على أن يتبادلا الحكم عاماً لكل منهما ، ولما ينتهى عام إتيوكليز ويقدم أخوه ليتسلم مقاليد الحكم يرفض شقيقه أن يسلمه إياه فيلجأ الآخر إلى أدراستوس ملك آرجوس يستنصره ويعرض أن يتزوج من ابنته، فيقبل الملك ويرسل مع صهره سبعة من قادته يقودون سبعة جيوش إلى طيبة ... ويستمر الحصار سبعة أعوام طوال دون أن ينالوا من طيبة قليلاً أو كثيراً وإن يكن الحصار قد أجهدها فيعرض القادة أن يطلب بولينيسيز مبارزة أخيه على أن يكون الفائز صاحب الحق فى العرش ، ويجيز إتيوكليز هذا الحل فيمضى إليه بقلب ثابت وجنان رابط وهو يعرف النتيجة ، لكنه يذهب فى غير خوف لكى يريح طيبة من ويلات القتال ... ويلتقى الشقيقان ، ويستمر النزال ساعة ثم يضرب كل منهما أخاه فيسقطان معاً ويضرجان الأرض بدمائهما ... وبذلك تتخلص طيبة من كليهما كما تتخلص من نسل لايوس وتتحقق النبوءة كلها

« للمقال بقية » دريني خشبة

(١) تستبدل السين كافا أحياناً كما أثبتها موراى وخالفه كامبل وجربر ويورا وجودوين

(١) سوف نعود إلى كل ذلك فى سوفوكليس

بين مصر ولبنان

إلى الدكتور زكي مبارك

للأستاذ محمد رشدي الخياط

سيدي الدكتور

تستطيع الأمم أن تحتجز كل شيء دون الخروج من أراضيها إلا الثقافة فلا تستطيع قسرها عليها دون غيرها، فهي قسم مشترك بين العالم يدلف إليها كل فرد وتطلع عليها كل أمة، وتؤثر في كل من يصل إليها كما أنها تتأثر بما يصلها، وذلك أمر بدهي لا مندوحة لنا من الإقرار به . وثقافة الأمم منها ما تشارك فيه دون أن تكسوه لوناً خاصاً وهو ما يكون علماً خالصاً، ومنها ما تلبسه ثوباً إقليمياً حسب المؤثرات الخاصة التي توجد لديها ويبقى بعد ذلك عالياً في نزعته وأثره . هذا إلى أن ثقافة الأمم لم تكن في يوم من الأيام أثراً خاصاً من آثار أمة دون أخرى، فهي مزاج من ثقافات العالم القديم والحديث ترتكز كل أمة في ثقافتها عليه فلا يحق لنا إذا ما ذكرنا الثقافة اللاتينية مثلاً أن نقصرها على نتاج عقليات هذه الأمم بل يجب أن نقر أثر الأمم الإغريقية والعربية ونتيجة الثقافات الفرعونية والهندية وسائر الأمم القديمة التي حملت الثقافة الأولى إلى العالم، ونستطيع بعد ذلك أن نزيد عليها أثر الأمم الحاضرة في تغذية هذه الثقافات وتقدمها . والأمة العربية ليست بدعاً من هذه الأمم، فهي إنما تخضع لقوانين العالم ، فالثقافة المصرية لم تكن في يوم من الأيام مقصورة في نهضتها على العقول المصرية كما أنها لا يمكن أن تبقى محصورة في دائرتها الخاصة ، بل من الواجب الحتم أن تتعداها إلى غيرها من البلدان كي يظهر أثرها في التأثير في العالم ، وقيمتها في المساعدة على تقدم الثقافة العربية . ومصر بما لها من الموقع الجغرافي ، والبسطة في المال ، والكثرة في السكان ، تستطيع أن تباهي شقيقاتها الدول العربية في قطعها دونها شوطاً بعيداً في بناء النهضة الأدبية الحديثة ؛ ويجب في الوقت نفسه ألا ننكر جهود سائر البلدان العربية على اختلاف هذه الجهود في القوة والضعف ، إذ قام كل بلد بما يستطيعه من المشاركة في هذا الأمر . ولا يعزب عن بالنا أثر لبنان خاصة والبلاد السورية عامة في هذه المشاركة الفعالة ؛ فنحن نعلم أن طلائع النهضة بدت في سوريا مسايرة لطلائعها في مصر أو متقدمة عليها بعض التقدم . ولئن استطاعت مصر أن تتقدم شقيقاتها في هذا المضمار فإن مرجع ذلك إلى أمور لا تتعلق بخصب العقلية المصرية ، وضعف غيرها كما يفهم من كلمة الدكتور زكي مبارك في (العدد : ٢٩٥) من الرسالة . إذ يقول : « ولكني أتحداكم أن تثبتوا أن لبنان نبغ فيه أديب واحد ، ولم يكن مصدر نبوغه الاتصال بالثقافة المصرية » . ثم يقول في موضع آخر : « إن الأدباء السوريين لم يذوقوا طعم المجد الأدبي إلا بعد أن شربوا من ماء النيل » . وإنما يعود ذلك إلى مؤثرات خاصة نستطيع أن نجملها في أربع نقط .

ترجع أولى هذه النقاط إلى ما وهبته مصر من خصب في التربة درّ عليها أخلاف الرزق في سهلها المخصوص المعشب فهيأ لها بذلك الأساس الذي تقوم عليه النهضات ، وهو المادة التي استطاعت بها أن تبث البعوث في مختلف أشتات أوربا لتعود إليها بالغذاء العقلي ؛ والبلاد السورية خاصة والعربية عامة صفر من المادة ، فهي في لبنان جبل أجرد ضيق أكثر بقاعه لا يمكن سكانه من استغلاله إلا في أشهر معدودات من الصيف، ثم ينقلب بعد ذلك غطاء أبيض ناصعاً من الثلج يحول دون زرعه أو الاتكال عليه في كفايته حاجات السكان . هذا إلى أن المدن المنتشرة في منبطحه ليس لها من الموارد ما يهيء لها أسباب الراحة وبلهنية العيش كما هيأتها طبيعة مصر لمصر . وسائر البلاد العربية يتكون أكثرها من صحارى محيطة بأطرافها وسهول ضيقة الأركان تنبث خلالها . كان من أثر هذه البيئة أن ضاق النبوغ العربي ذرعاً بهذه الحياة فكبت في مهده ، ولم تتجمع له المادة التي تمكنه من استغلال هذا النبوغ فوجد في بقاع الأرض متسعاً لإظهاره ، فاحتمل نفسه إلى مصر وما وراء البحار حيث استطاع أن يثبت هذا النبوغ ويؤكده، فكان أثره في مصر بارزاً في نهضتها وفي غيرها من بلدان العالم وبخاصة في أمريكا مركزاً كل التركز . ولا يفهم من هذا أن مصر أو غيرها من البلدان هي التي أوجدت هذا النبوغ وإنما يعود ذلك إلى البيئة الأصلية ولم يكن من أثر البيئات الجديدة إلا أن ساعدت البيئة الأصلية

عن استغلال هذه الثروات العقلية الكامنة فى زوايا الفقر والفاقة .
ومن هنا لا نستطيع أن نوافق الدكتور فيما ذهب إليه من حملة كنا نرجو ألا تثور به حتى يقعد على مثل الألفاظ التى استقر عليها . ومع ذلك فإن الشعب العربى مع فقره وشدة حاجته إلى المادة استطاع أن يشارك فى النهضة العربية بقدر ليس بالقليل ، وبخاصة لبنان حيث الثقافة العامة فى الشعب أكثر منها فى مصر حتى الآن ، وكل ما فى الأمر أن مصر أنجبت طبقة من المثقفين عالية لا تستطيع أن تجارى الشعب فى تفكيره ، إذ أن التوازن مفقود بين هذه الطبقة العالية فى ثقافتها وبين الشعب الذى لا يزال أكثره أمياً أو ضئيل التعلم . وعكس ذلك لبنان وسائر البلاد العربية ، إذ نجد الطبقة المثقفة هناك لم توجد بينها وبين الطبقة العامة مثل الهُوَى التى توجد فى مصر . هذا السبب المادى الذى آل إلى تخلف بعض البلدان العربية عن مسايرة مصر يتبعه سبب آخر هو قلة السكان فى أى قطر من الأقطار بالنسبة لمصر ، فأكبر بلد عربى لا يتجاوز سكانه خمسة ملايين ، بينما مصر تعد بفضل الله ستة عشر مليوناً أو تزيد ، وهذا له أثره فى قيمة انتشار الثقافة العامة ، إذ لا تستطيع الطبقة المثقفة أن تسير فى واجبها بوساطة التأليف ونشر المجلات العلمية والأدبية لقلة عدد المستهلكين حيث لا يجد القائمون عليها وسيلة من وسائل الاستغلال والإفادة ، بينما مصر تساعدها كثرة سكانها على نشر مختلف المجلات وطبع متباين المؤلفات ، ومع ذلك نستطيع أن نسأل الدكتور نفسه عن عدد الكتب التى طبعها وعدد نسخها وما هى الكمية من هذه الكتب التى استطاعت مصر أن تهضمها بالنسبة إلى الكمية التى أقبلت عليها البلاد العربية ؟ أكبر الظن أنا سنرى البون شاسعاً بين ما تناولته مصر من مؤلفات الدكتور وبين ما التهمته العقول العربية . ولنا فى شهادة أستاذنا الزيات أكبر دليل ، فالرسالة أثيرة لدى الشعب العربى حبيبة إليه يقبل لذلك عليها أكثر من إقبال إخواننا المصريين . أليس فى هذا دليل على رقى الشعب وكثرة المفكرين فيه ؟ ولكن ما الحيلة فى أن الله قد ابتلانا بضعف المادة وقلة السكان مع ما سيأتى من الأسباب فحرمنا ذلك من كثير من وسائل الإعلان والدعاية ؟

وبعد ذلك يا سيدى يحضرنا السبب الثالث الذى يقوم على السببين الأولين — ضعف المادة وقلة السكان — وهو انعدام وسائل النشر والدعاية أو ضعفها ، إذ أن المادة التى يقوم عليها النشر لا تواتى المؤلفين والناشرين على الإكثار منهما لقلة ما بأيديهم منها ؛ هذا إلى أن ضآلة الاستهلاك من هذه المطبوعات والمنشورات لقلة عدد السكان قعد بالبلاد عن الإعلان والدعاية اللذين اتخذتهما مصر سبباً من أسباب نهضتها بصحفها ومجلاتها وكثرة مطبوعاتها لاعتمادها على ما لديها من المادة وكثرة الاستهلاك المحلى . فالصحف المصرية مثلاً تستطيع أن تنفق عن سعة لأنها ترتقب انتشاراً سريعاً بين السكان وقل مثل ذلك فى المجلات . من هنا نرى أصحاب الصحف فى مصر قد أثروا من عملهم هذا ، وكان فى ذلك دعاية أى دعاية لمصر فى البلدان العربية ، ويتبع ذلك المجلات . وهنا نستطيع أن نميز فيما بينها ، فهناك المجلات الأدبية والعلمية وهذه يستهلك منها فى خارج مصر أكثر مما يستهلك فى مصر ، أما المجلات الإخبارية أو الروائية أو المصورة فلها عناية خاصة لدى إخواننا المصريين . ولا أبالغ إذا قلت إن أثر بعض المجلات فى الدعاية لمصر كان معكوساً ، وبخاصة ونحن فى بلد لا يزال يحرص على كثير من تقاليده ، فهو لا يقبل أن يرى المرأة كاشفة عن ساقيها معلنة عن نهديها ملوحة بذراعيها العاريتين أو نصف العاريتين ، هذا إلى ما تحويه بعض هذه المجلات من أخبار نسائية ومشاكل اجتماعية ليس من الخير أن تنشر بمثل هذه الإبانة لما توقره فى نفوس بعض القراء من آثار سيئة ، وبخاصة أولئكم الشبان الذين لم يتجاوزوا طور المراهقة إذ يقبلون عليها بلهفة وشوق ينتهيان إلى انحراف فى الأخلاق أو ميل إلى التهتك دون أن يعرفوا الأثر السيء الذى سيعود عليهم . ما كنت لأرغب فى أن أعرض لهذا الآن ولكن المناسبة قادتنى إليه .

من هنا ياسيدى الدكتور نستطيع أن نلم ببعض الأسباب التى دفعت مصر إلى أن تخطو خطوات واسعة فى طريق النهضة العربية دون أن تستطيع الوقوف على ما يجرى لدى شقيقاتها من هذه النهضة . وأنت أدرى ياسيدى بما تلقاه المؤلفات والنشرات التى تصدر فى البلدان العربية من إقبال لدى إخواننا المصريين ! لو ذهبت تعدد قراء البلاد العربيـة للمنشورات المصرية لألفيتهم عدداً جماً ، ولكنك هل تستطيع أن تدلنى على أناس لا يتجاوزون عدد الأصابع قرأوا أو اقتنوا كتاباً واحداً ألفه أديب غير مصرى

ولكن ما العمل وإخواننا المصريون قد تضخم لديهم حب الذات حتى غدوا لا يبصرون في هذا العالم أحداً غيرهم ولا يقبلون في الثقافة العربية على غير مؤلفيهم – مع قلة هذا الإقبال – وأنت تقر معي ياسيدى الدكتور أن هذه ناحية من نواحي الضعف في جمهور القراء من المصريين . وأنتم في مصر مع ذلك تشكون قلة القراء على ما لديكم من كثرة السكان وتوفر المادة فكيف بنا نحن العرب الفقراء في كلتا الناحيتين ؟

ونستطيع أخيراً أن نبرز الناحية الرابعة التي دفعت بالبلدان العربية إلى عدم استطاعتها المضي مع مصر في طريق النهضة، وهي ناحية سياسية خاصة تختلف كل الاختلاف عن الناحية السياسية في مصر. وذلك أن مصر قد كفل لها استقلالها بشئونها الداخلية منذ أيام محمد على باشا حيث تمكن من بعث البعوث والنهوض بمصر في مضمار الثقافة ، ثم مضت البلاد في ذلك في ظل خلفائه إلى أن أظلها القرن العشرون فآتت النهضة أكلها. أما البلاد العربية فكانت تحت الحكم التركي المباشر حيث كانت الأمية ضاربة أطنابها في مختلف البلاد، وحيث كنت تبحث عن المثقف بمصباح ديوجين، ومع ذلك كان لبنان في مقدمة العاملين في سبيل النهضة الحديثة تحت لواء آل البستاني وآل اليازجي وآل المعلوف وغيرهم ، هذا إلى ما قامت به الإرساليات الأجنبية من جهود لا تنكر، ثم تقلبت الظروف وإذا بنا في معركة حامية الوطيس بين الحلفاء وتركيا، تبع ذلك تمزيق أوصالنا إلى دويلات تحت دول متباينة في ثقافاتها. وكان من أثر هذا الصراع أن اتجهنا في حياتنا وفي تفكيرنا إلى حفظ كياننا السياسي – وهو أمر طبعي – قبل التوغل في العمل في الحقل الثقافي . ورغم هذه الظروف استطعنا أن نقطع في طور الثقافة شوطاً غير قليل

قد يقول قائل إن ما لقيته مصر لا يقل عما لقيته شقيقاتها، وفي هذا ما فيه من المغالاة إذ أننا إذا استثنينا الثورة العرابية والثورة المصرية الأخيرة لا نجد صراعاً مسلحاً أخذ بمجامع القلوب المصرية وشغلها عن كل ما عدا ذلك من شئون الثقافة

هذه يا سيدى الدكتور الأسباب التي دعت مصر إلى أن تتقدمنا في طريق النهضة الحديثة، وهو في الوقت نفسه لا يدل على ضعف في عقليتنا أو خصب في غيرها ، وإنما يعود إلى عوامل لا بد من مراعاتها قبل الحكم في هذه القضية . أما الإبقاء على تراث الجدود والمحافظة عليه فما من أحد ينكر على مصر قيامها به بل نرى من الواجب العض عليه بالنواجذ

وأخيراً يا سيدى الدكتور أستطيع أن أختم كلمتي حول هذا الموضوع بعتب إخوانك وقرائك عليك لحملتك التي خرجت في بعض مواطنها عن حد الاعتدال . وليتك وقفت من مثل هذه الدعوة التي وصلت إليك موقف الأستاذ « ابن عبد الملك » في تهجينها دون تجريح، وفي إنكارها دون جنف أو ميل لك أو عليك، فتكون بذلك قد تجنبت بعض الآثار التي ليس من الخير إثارتها الآن وأنت تعلم أننا أتوق إلى مطالعة آرائك ومنتوجاتك الأدبية من توقنا إلى مثل هذه المنازعات

« فلسطين » محمد رشدى الخياط

ابنـــتى ...!

للأستاذ محمد سعيد العريان

مرحباً يا عزيزتى الصغيرة !

ها أنتِ ذى يا ابنتى أمام عينىّ حقيقةً أراها وكنتِ حلماً من أحلامى !

وهأنذا ألقاكِ بعد صبرٍ صابرٍ وجهدٍ جاهد وطول تشوُّف وارتقاب ؟

مالك منمضةَ العينين أكثر ما تكونين يا ابنتى كأنما لاتجدين فى دنياك الجديدة ما يغرى على اليقظة والنظر ؟

ومالك صامتةً أبداً فما تفتحين فمك إلا للبكاء كأنما تشعرين بالغربة فى هذا العالم الجديد ؟

وما لهذه اليدين والرجلين دائبات على الحركة أبداً كأنما تحاولين الفكاك من قيد غير منظور ؟

أين كنتِ يا ابنتى ؟ ومن أين جئتِ ؟ وإلى أين المسير ؟

أهذا يوم ميلادك يا ابنتى أم هو أول الطريق فى مرحلةٍ بين مرحلتين من عالم مجهول إلى عالم مجهول ؟

حدّثينى حديثك عن دنياك التى كانت ، ودنياك التى تكون ؛ فأنت أقرب عهداً يا بنية إلى ما كان ، وأصفى نفساً إلى تصوُّر ما يكون!

هأنذا أرى شفتيك تختلجان وأنت نائمة كأنما تهمسين بسرّ فى أذُن !

وتبسمين أحياناً بسمات غامضة كأنما تستمعين إلى نجوى صامتة فى دنيا الأحلام التى تصل جديدَك فى هذا العالم بماضيك القريب فى العالم المجهول !

وتعبسين أحياناً باكيةً بلا صوت ولا دموع كأنما لا يعنيك أن يسمع أحد أو يرى ؛ لأن الذى تمنين أن يعلم بشكواك ليس خَلقاً من الخلق ولكنه روح من روح الله ؟

حدّثينى ماذا ترين يا بُنيّةُ فى منامك وماذا تسمعين ؟

مَنْ ذا يسامرك يا ابنتى فى أحلامك وما عرفتِ شيئاً بعدُ فى دنيانا تؤلّفين من أشتاته أقاصيصَ فى أحلام !

ليتنى أعرف ماذا كنتِ أمس ؟ وماذا أنت اليوم ؟ وماذا تكونين ونكونُ فى غد !

أطوار ثلاثة فى تاريخ البشرية ليس فى أيدينا من العلم بها إلا اليوم الذى نعيش فيه ؛ أما أمس قبل أن نكون ، وأما غدٌ بعد أن نصير ... !

من يدرى ، من يدرى ؟ إن هنا سرّ الأزل ، وسرّ الأبد ، وبرهان الخلود !

حياة بين حياتين ، ليس لنا من العلم بأولاها إلا بطن الأم ، وليس لنا من العلم بالأخرى إلا بطن الأرض ، ونحن بين الحياتين فى مضطرب مائج لا نكاد نحس إلا ما تقع عليه أعيننا وما تلمس أيدينا ، وإننا على ذلك لنزعم أن لنا الحق فى أن نتحدث عما قبل الحياة ، وما وراء المادة فى جدال السفيه ودعوى المغرور !

* * *

ابنتى طفلة فى المهد لم تتجاوز من العمر فى تاريخ البشرية إلا أياماً معـدودة ، ولكنها إلى ذلك كبيرة كبيرة فى نفسى وفى أوهامى ، إنها لم تُولدْ أمس، ولكنها كانت فى رحلة ثم آبت. إنها كبيرة كبيرة لأنها كانت تعيش فى أحلامى منذ سنوات وسنوات . منذ أيقنت أننى يجب أن أكون أباً !

هل كنتِ تسمعين نجواى يا بُنيتى من وراء حدود المجهول وقد جلست ذاتَ مساء أهتف باسمك فى دنيا الأمانى متسائلا : أين أنت يا ابنتى ؟ أين أنتَ ياولدى ؟ أين أنتِ يازوجى التى لم أرها ولم أعرفها بعد ؟ أين أنتم يا أحبائى ؟

... طفلةٌ هى على حساب الزمن إن كانت سن الحى تُعَدُّ بالسنين والأيام ؛ فكم تكون سنها على الحقيقة منذ كانت أمنيةً تتراءى لى فى اليقظة وطيفاً يلُمُّ بى فى الأحلام ؟

صورةُ إنسانٍ فى بضعة أرطال من لحمٍ ملفّـفة فى طيات الفراش ، ولكنها معى أينما كنتُ ، أطوّف بها ما أطوّف فى دنيا عريضة من الأمانى والأوهام !

خرساء مالها بيانٌ بعد ، فإذا التقت عينان بعينين فإن بينها وبين نفسى حديثاً أفصحَ من حديث كل ذى شفةٍ ولسان !

طفلةٌ هى إذا نظرتُ إليها فى فراشها هادئةً مستسلمة لا تقدر على الحركة ؛ فإذا أغمضتُ عينىّ وسبحتُ فيما أصبح من آمالى فهى غير مَنْ هى : صبيّة تدرج ، أو فتاة تخطر ، أو عروس فى جلوة العرس إلى ذراع عروس ... !

* * *

تعالى إلىّ يا بُنيتى أضُمُّك إلى صدرى ؛ إننى أنا أبوك ؛ أتراك تعرفين ؟

هاتان عيناك الساجيتان تنظران إلىّ نظرات ليستْ من مثل ما تنظران إلى أخى وابن عمى ؛ بربِّك مَن علَّمك ؟

انظرى إلىّ يا ابنتى وأطيلى النظر ، إن فى عينيك سرًّا يلهمنى ما لم تلهمنى مشاهدُ الدنيا جميعاً منذ كنتُ إلى يومَ عرفْتُك !

حدثينى حديثك الصامت يا عزيزتى لعلى أستشفّ من وراء حديثك سرَّ المجهول ؛ ما أنتِ ؟ وأين أنت ؟ وما كان ماضيكِ ؟ وكيف تأملين أن يكون غدك .. أأنتِ هنا أم أنت هناك ؟

... شمس تشرق وتغيب ، وليل يطبق وينجلى ، ورياح تعصف وتهدأ ؛ وإنسانٌ يعبس ويضحك ، ومعدةٌ تمتلئ وتفرغ ، وقلب صافٍ صفاء الحق أو عابس عبوس الضلال ، وعيون فيها بريق الشهوات أو فيها دموع الألم ، ووجوه سافرة ووجوه عليها نقاب ... هذه هى دنيانا أيتها الصغيرة ، فما هى دنياك ؟

أتراك تعرفين يا عزيزتى الصغيرة ؟ ... ما أرى صمتك الطويل يا بنيتى إلا حذراً ورقبة حتى تعرفى ما أنتِ فى دنياك الجديدة ... ! تُرى من أدبك هذا الأدب يا بنيتى ؟

سائح جوّال رمتْ به الأقدار إلى وادٍ غير واديه ، ودنيا غير دنياه ، وعيش لم يعش مثله فيما استدبر من حياة ؛ ماذا يقول وكيف يتحدث ... أهكذا أنتِ فى صمتك يا عزيزتى ؟

***

هذه أمك يا صغيرتى ؛ لم تحمل ولم تلد قبلُ ؛ علّمها الأمومة يا صغيرتى ، إنها لم تكن تعرف ... !

ها هى ذى حانيةٌ عليك صابرة على ما تعانى من أوجاع الأمومة الأولى وإن فى عينيها لبريقاً لم أر مثله فيما رأيتُ من عينيها قبلُ !

مغتبطة سعيدة أن تضمك إلى صدرها فى حنان ورقة وإن بها من الآلام ما يذهل كل ذات ولد !

وهاتان شفتاك الصغيرتان تبحثان عن شئ هنا ... مَنْ علّمك أيتها الصغيرة أن هنا أودع الله ما أودع ليكون لك شبعاً وريًّا ؟

ورأيتك تلقمين ثديها مغمضة العينين تناوُلَ الخبير الفطن ، فأحسنتِ الرضاعة ، وما تُحسن أمُّك أن تُرضع !

يا عجبا ! الطفل الصغير يعلّم أمه الأمومةَ قبل أن تتعلم هى أن تكون أمًّا !

فى كل مَرأى عينٍ منك يا صغيرتى درسٌ يهدينى ويلهمنى !

***

هل أنتِ سعيدة بدنياك أيتها الصغيرة ؟ هل تتألمين لشئ ؟ هل تؤملين فى شئ ؟ هل وجدتِ الحياة كما علّمك باريك الأعظم ؟

مَن لى بأن أسمع جوابَ ما سألت ؛ ولكن ، لا ، لا ، حسبى الذى أرى ؛ إنك أنتِ أنتِ لأنك لا تجيبين ؛ إنك أنتِ أنتِ لأنى لا أعرف من أنتِ ؛ حسبى من العلم ما تلهمنى نفسى ؛ إن ذلك أعمق أثراً فى جنانى من كل بيان !

هذا جسمك ينمو كل يوم شيئاً شيئاً ، وهذه حركاتك تقوى وتشتد ، وهذا صراخك يتنوع نَبْرُه وتختلف أنغامه ؛ وغداً — إن شاء الله سيكون لكِ غد — ستكبرين يا صغيرةُ حتى تبلغى ما تبلغين ؛ وكم يلذّنى أن أتمثلك فى خاطرى صبية وفتاةً وسيدة كما آمل أن تكونى ؛ ولكن شيئاً واحداً هو أغلى من كل ذلك آمل أن يظل معك صبية وفتاة وسيدة ؛ هو قلب الطفلة ، وابتسامة الطفلة ، ونظرة الطفلة ، و ... ، وصمتُ الطفلة حين تضجّ الحياة من حولك وتصطخب ، ويلتمس كلُّ سؤال جوابه ... !

ولكن ، آه ... إن حكمة القادر لتأبى ... !

هكذا كنا جميعاً ، وهكذا صرنا ؛ وكانت لنا حياة أين منها الحياة التى نعيش اليوم !

عيشى لى يا ابنتى واسلمى ، وكونى ما تكونين ؛ فأنت أول مَن أبوّت ، وأنت أول من علمنى معنى الحياة ... !

***

... لماذا تبكين يا بنية ؟ هأنذا على مقربة منك ، تُطلين علىّ وأكتب ؛ تعالى بين ذراعىّ ، إنهما على ما إنهما ، لألين مسًّا على جنبيك من هذا الفراش الوثير !

... تبكين لأنى منصرف عنك منذ ساعات إلى أوراق أكتب ؟ من علّمك هذه الغيرة يابنية ؟ إن فيك لَطباعَ الأنثى وإن لم تكونيها بعد !

ابتسمى لأبيك أيتها الصغيرة ؛ لا تبكى ؛ إننى أنا أبوك ؛ لقد تعلّمتُ منذ الساعة ما أنا ، وعرفتُ ما علىّ من واجب ؛ إننى لكِ منذ الآن ، لا يصرفنى شأنٌ من شئون الحياة عن هذا الواجب إلا أن يكون سعياً إلى ما يصلح من شأنك ...

تعالى تعالى علّمينى ؛ إننى أنا والدك ولكنك أنتِ ولدتِنى يوم وُلدتِ لأنك أنشأتِنى خلقاً آخر من يومئذ ...

تعالى، قبّلى أباك ! .. لا تعرفين ؟.. هذه قبلتى على جبينك يا صغيرةُ تذكرينى بها إلى معاد ؛ وإنها لدين إلى أجل لا بد أن أقتضيه يوماً من شفتيك !

محمد سعيد العريان

استطلاع صحفى

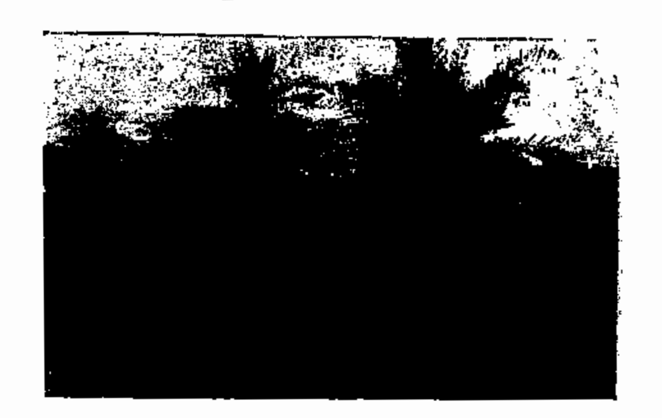
جولة فى مزرعة الجبل الأصفر

لمندوب الرسالة

فى دار النيابة زوبعة نائمة ينتظر نواب الأمة أن يثيروها عند ما يعرض الاستجواب الخاص بالتحقيق فى مزرعة الجبل الأصفر. وبذلك سجلت هذه المزرعة لنفسها تاريخا خاصا وأثارت فى نفوس القراء فضولا رأينا أن نشبعه بأن نقدم للقراء وصفا شاملا لما يحدث فى تلك المزرعة متوخين فى بحثنا أن نكون بعيدين كل البعد عن السياسة ومراميها

الأرض المتمردة

على مسيرة ٢٠ دقيقة من المرج معهدان أولهما مستشفى المجانين، والثانى مزرعة الجبل الأصفر. وكلاهما يقع فى الصحراء بعيداً عن الناس. فى الأول أناس اقتضت التقاليد عزلهم لما أصاب مراكز التفكير فيهم من خلل؛ وأما الثانى فبرغم بهائه ونضرته، وعلى رغم زرعه وضرعه، لم يجد الناس مندوحة من إقامته بعيداً عن عيونهم وأنوفهم، فمواد سماده من فضلات المجارى، فهى خطر على الصحة العامة لما تنقله من الجراثيم، وهى خطر على حاسة الشم لأن رائحتها كريهة، وهى خطر على المزاج لأنها تعكر صفوه وتشيع فى الإنسان الكآبة: ولذلك اقتضت ضرورة الذوق السليم أن تخط مزرعة الجبل الأصفر فى بقعة نائية من الصحراء



إحدى طرق النقل فى المزرعة بواسطة عربات « ترلى » يجرها حمار

ولا يربط هذين المعهدين بالمرج إلا خط حديدى مفرد تسير عليه مركبة الترولى مرات معدودات أثناء النهار عند ما ينتقل إلى سكان المزرعة البريد اليومى أو يحاول أهلها الاتصال بسكان العالم عن طريق الرسائل. ولو استطاعت الصحراء أن تتحدث لاتهمت المزرعة بالجنون كما اتهم به الناس سكان المعهد المجاور: فكلاهما خارج بل متطرف فى الخروج على مألوف بيئته، فأينما وقفت من أطراف المعهدين تجد الأفق ينطبق على رمال الصحراء سوى هذه البقعة، فقد تمردت بفعل الإنسان فأرسلت من جوفها إلى العالم حياة طافحة بالخير والشر، وأشجاراً باسقة تعطى الظل والخشب، وأثماراً تدر على الإنسان الربح الوافر والغذاء الدسم



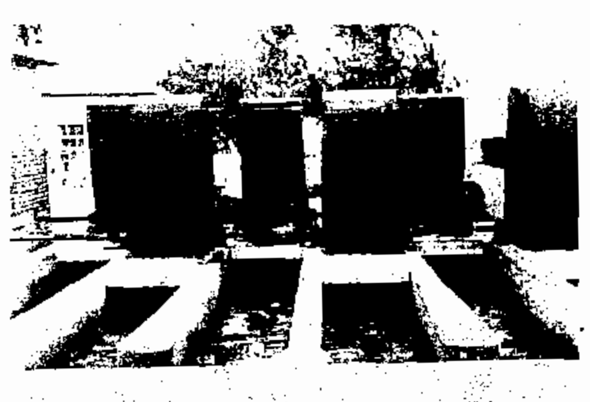
بعض العمال يفرزون البرتقال استعداداً لارساله إلى القاهرة والمدن الأخرى

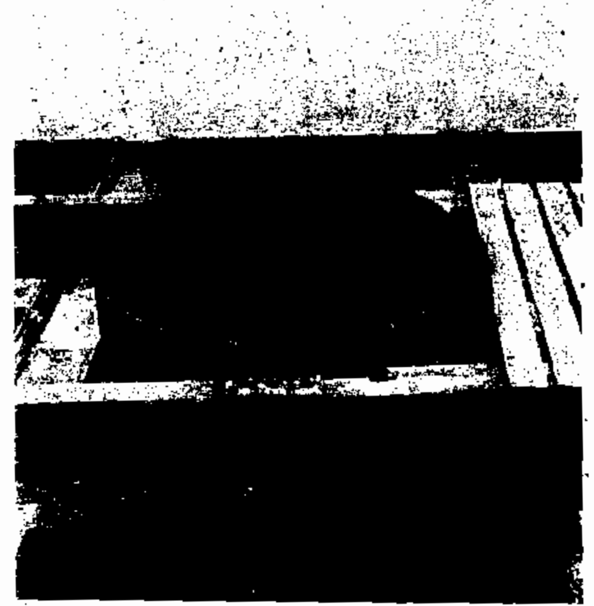
تلك الأرض التى كانت منذ سنوات صحراء جرداء تستوى مع جيرانها فى أديمها الأصفر وهجيرها اللافح وشمسها المحرقة، أصبحت الآن بستاناً تهوى العين رؤيته وتتوق النفس إلى سكناه. وليس غرام البقعة قاصراً على عشاق الطبيعة الذين يحبون جمعها بين الصحراء وتلالها الرملية وبين الماء والخضرة، بل إن هذا الغرام يمتد إلى التجار. ألم تسمع عن الثورة القائمة فى دار النيابة؟ وهل سمعت أيضاً بحديث القتيل الذى راح ضحية المنافسة عليها عند البيع والشراء؟ فإذا لم تكن تعرف هذا فتيقن أن المزرعة مصدر ربح وفير، فإنتاجها حسب تقدير قسم البساتين بوزارة الزراعة يزيد على اثنين وعشرين ألفاً من الجنيهات.

صيد طائرين بحجر واحد

أما مساحة المزرعة فثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون فداناً حولها فضلات المجارى إلى حالتها الراهنة، إذ استعملت سماداً عضوياً جيداً لتغذية الأرض حتى أنتجت الأشجار والأثمار المختلفة. ولكن المشرفين رأوا أن يستفيدوا من الأرض فى التجارة بزراعة الموالح من برتقال ويوسفى بأنواعهما. أما البقول والفول والشعير

فاقتصر زرعهما على الاستهلاك المحلى لسكان المزرعة الذين يربدون على ألف نسمة





صورة إحدى النماذج التى استعملت لتجربة تنقية الماء بواسطة السواقى الدائرة

وزرع من هذه المساحة ألف فدان موالح، وهى الأرض التى يسمح باستغلالها فى التجارة، وبذلك تكون هى منشأ النزاع وإن شئت الدقة قلنا الاستجوابات المطروحة فى دار البرلمان. وزرع من المساحة الباقية ١٥٠ فداناً شعيراً ومثلها فولاً و ٣٠ فداناً غابات، ومثلها للنخيل وعشرة أفدنة للخضروات؛ أما الباقى فأراض بور لم يتم إصلاحها بعد: ولو توفر الماء لريها لأصبحت كثيلاتها؛ فالسماد العضوى الذى تجلبه إليها المجارى غذاء غنى للنبات

وليست الناحية التجارية هى الأصل فى إنشاء هذه المزرعة بل الغرض أسمى من ذلك، ففى مدينة القاهرة مجار تجمع الفضلات من المنازل لتلقيها بعيداً عن الناس دون أن تكلفهم مشقة التعب فى النقل وإيجاد السكان. وهذه المواد يجب أن يقتل ما فيها من جراثيم كما يجب أن تستهلك لتنعدم رائحتها وحتى لا تزيد وتتكاثر بمرور الزمن. ولذلك فكر ولاة الأمور فى إنشاء مزرعة يتغذى نباتها بتلك الفضلات، وبذلك يضربون طائرين بحجر واحد كما تقول الأمثال؛ فمن الناحية الأولى تجد مصرفاً دائماً للفضلات، ومن جهة ثانية تزرع الأرض ويجنى الثمار.

ولذلك لم تكتف المزرعة بالناحية المادية والتجارية، بل أرادت أن تضيف إلى الثروة الزراعية المصرية نباتات جديدة لم نعرف أثمارها من قبل فأدخلت زراعة بعض الفواكه « كالكوم كوات» كما استطاع الإخصائيون الزراعيون إنتاج فواكه فى غير أوانها، فاستطاعت المزرعة أن تمد السوق بالفواكه فى أكثر أوقات السنة. ولم تقتصر الفائدة على الحكومة بل عمت فاستفاد منها



نموذج آخر لتجربة نوع آخر من السواقى لعزل الماء عن فضلات المجارى

الشعب فقد اشترى بعض المزارعين بذور تلك الفواكه فشاركوا المزرعة فى إنتاج الفواكه على غير ميعاد.

سر الشيطانه

وتأبى أرض الزرعة إلا أن تضع أمام إخصائيها معضلة حاروا فى كشف سرها إذ يظهر نبات شيطانى اسمه « النتنة » لم تبذر له بذور ولم يعتنَ به فى سق ولا حرث، ومع ذلك فإنه ينمو ويكبر ؛ وهو غنى بالزيت، ولذلك أريد استغلاله باستخراجه منه فجربت زراعته ففشلت. «فالنتنة» نبات ينمو إذا تركته للطبيعة، فإذا أخذت بذوره وأعطيتها العناية والوقاية فإنها لاتنبت ؛ أما إذا تركت على الأرض فإن نبات النتنة يكثر فيها. أما كيف ينبت فهذا سر الطبيعة؛ وأما لماذا لا ينبت إذا قدمت له العناية فأمر علمه عند الله ، وكل ما نعرف عنه أنه نبات شيطانى يحتفظ بسر نفسه، وما زالت التجارب تعمل. وما يظن أنها بذوره تدفن فى الأرض أو تبذر على سطحها لتنبت، ولكنها تختفى فى الجهات التى تزرع فيها لتظهر فى جهات ثانية . والغريب فى أمرها أنها تنبت بإذن الله وحده فى عدة جهات وبكميات كبيرة ، فأمكن استخراج كميات من الزيوت منها

وتحاول الزرعة أن تحتفظ فى حقول تجاربها بكثير من النباتات ولكن بعضها قد لا يحتمل حرارة الشمس لأنه نبات إحدى المناطق الباردة، أو أن حرارة شمس مصر لا تكفيه لأنه نبات إحدى المناطق الحارة ، ولذلك فإن الزرعة مجهزة ببيوت من الزجاج ، وأخرى من الخشب

فأما بيوت الزجاج فتوضع فيها نباتات المنطقة الحارة حتى إذا انكسرت أشعة الشمس داخلها كانت حرارتها أقوى مما هى فى العادة ، وهذه البيوت حوائطها من الزجاج الذى يسمح لأشعة الشمس بالنفاذ . أما بيوت الخشب فإنها تصنع لتعطى النبات كثيراً من الظل، وبذلك تقل الحرارة داخل البيت فيستطيع النبات البارد أن يعيش . وبعض النباتات يمكث فى هذه البيوت مدة حتى يمكنه أن يتحمل الحرارة والبرودة وعندئذ يمكن غرسه فى أرض الزرعة فى العراء

سماد عضوى

تروى أرض الزرعة وتسمد من فضلات المجارى التى تصل من القاهرة بواسطة أنابيب تقذفها فى أحواض واسعة حيث ترسب الفضلات الثقيلة فى قاعها وتمر فى عدة أحواض أخرى إلى أن تصبح ماء صافياً يستعمل فى رى الزرعة . أما المواد الثليطة فإنها تنشر فى أحواض رملية وتعرض لأشعة الشمس حتى تجف وتباع للزراع كسماد عضوى جيد ، ويختلف ثمن المتر المكعب منه تبعاً للمكان الذى يسلم فيه



صورة أحد العمال وهو ينظف إحدى فتحات الأحواض

وتنحل المواد البرازية أثناء انتقالها داخل الأنابيب من القاهرة إلى تلك الأحواض فإنها تبقى عدة ساعات كافية لقتل أى مكروب، ولذلك فإن المواد تصل إلى تلك المنطقة سوداء مما يدل على انحلال موادها . أضف إلى ذلك أنها فى ماء جار لا يسمح للميكروبات بالحياة . بل إن بعض الأطباء يؤكدون خلو تلك المواد من أى ميكروب ؛ ولذلك يأخذون على وزارة الصحة اعتبارها للمواد التى تسقط على أرض ملوثة؛ ويقول آخرون إن هذا احتياط واجب وهو أدعى لطمأنينة الناس وثقتهم بنباتات الزرعة

ولأول مرة شاهدت أرض الزرعة عجبت لكثافة الحشائش فى أرضها مبيناً ضرر ذلك على النبات . ولكن محدثى وهو ممن عاشوا فى الزرعة مدة طويلة قال : إن هذه الحشائش الطفيلية تنبت بغزارة وقد تعبنا فى التخلص منها بدون جدوى. وثلاثة أرباع

العمل الذي نبذله هنا يقتصر على حشها ولكنه لا تمر ٢٤ ساعة حتى تنبت بهذه الكثافة من جديد. ولما سألته عن السبب قال: إن الماء الذي تزرع به الأرض يحتوي على كميات كبيرة من السماد فتشبعت به الأرض أكثر من الحد الطبيعي حتى أصبحت أرضها صلبة مما يضر بالمزروعات أحياناً، وإذا أردنا أن نرجع بالأرض إلى الحالة الطبيعية وجب أن نزرعها مدة عشر سنوات بدون سماد



ساقية تدور في وسط الماء لتفصل الماء، رائقا عن الفضلات وترى زبد الماء ظاهراً

تجارب لعزل الفضلات

ومن المشاكل التي يحاولون التغلب عليها الحصول على ماء خال من السماد الذائب فيه ، ولذلك عملت تجارب لتصفية ماء المجاري والحصول على ماء نقي . فليس هذا سهلاً باستيراده من النيل أضف إلى ذلك أن مشكلة ماء المجاري ستظل بدون مصرف لها .



صنعت هذه الأحواض لتنقية الماء حسب الطريقة المتبعة في ريف مصر بواسطة الحصى والرمل والزلط

واتبعت عدة طرق ما زالت تحت التجربة لتنقية الماء بطريقة السواقي أو الرشح بين الزلط والرمل ، وينتظر أن تصل هذه التجارب إلى نتائج حاسمة قريباً فقد شاهدت إحدى التجارب وقد أصبح الماء المتخلف منها شفافاً ولكن تكاليفه غالية . ويراد استنباط طريقة رخيصة التكاليف . وقد بنيت لتنفيذ تلك التجارب عدة نماذج مساحة الواحدة منها خمسون متراً تقريباً

وهناك مشروع لتحضير غاز الاستصباح من فضلات تلك المواد، فإذا نجح هذا المشروع فإنه يكفي لإنارة شوارع القاهرة جميعها. وقد بدأ القائمون بالأمر بعمل التجارب اللازمة ، فأنشأوا لذلك بئراً عمقها ١١ متراً كما شيدوا خزاناً من الحديد لاستقبال الغاز وتوزيعه

محافظة على الصحة

وتحرص وزارة الصحة كما قلنا على منع الثمار الملوث من الوصول إلى أيدي الناس، ولذلك إذا أراد مستغل المزرعة أن يجمع ثمار قطعة من الأرض فعليه أن يخطر رجال للصحة ليمروا في تلك المنطقة وليجمعوا منها الثمر الذي يلمس الأرض سواء كان ساقطاً أو في فروع قريبة من الأرض فلامستها . ويدفع للمستغل ثمن ما يتلف لأنه ملوث وقد قدر بخمسة آلاف جنيه في العام الماضي

ويعدم الثمر الملوث بوضعه في حفر عميقة وصب « حامض الفنيك » عليه ثم ردم الحفر

فوزي عبد الشتري

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

للأستاذ محمود الخفيف

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح ، وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟



يذكر المصريون اسم عرابي فلا يبتعث هذا الاسم وا أسفاه في أذهانهم إلا صور العنف والنزق والحمق ، وتراهم — وإن لم يقصدوا — يقرنون اسم عرابي بمعاني الهزيمة والاحتلال والمذلة كأن هذه المعاني من مرادفاته

وما أذكر مجلساً تطرق الحديث فيه إلى عرابي إلا وسرت في الوجوه كآبة ، وتسابقت الألسن للهزء به وتعديد مساوئه وإبراز مثالبه ...

والحق أنه قل أن نجد في رجالنا رجلاً ضاعت حسناته في سيئاته كما ضاعت حسنات عرابي المسكين فيما ارتكب وفيما افترى عليه من سيئات ؛ وكذلك قل أن نجد في رجالنا رجلاً كرهه بنو قومه واستنكروا أعماله بقدر ما كره هؤلاء عرابيًّا واستنكروا ما فعل وما أسند إليه من الأعمال زوراً وإفكاً . وفي ذلك دليل قوي على أن التاريخ قد يظلم عامداً كما قد يخطئ غير عامد ؛ وفيه كذلك دليل على أن الأمور كثيراً ما تجري فيه كما يرسم الحظ لا كما يضع العدل من قسطاس ؛ فيكون نصيب بعض الرجال من التعظيم بقدر ما يتوافى لهم من حظ لا ندري كيف اتفق لهم دون غيرهم ، بينما يجني على كثير من ذوي النفوس الصحيحة والعظمة الصادقة ما يلحق بهم من سوء الطالع وما يحيط بهم من نحس الأيام

وما كان عرابي فيما أعتقد أثقل الرجال وزراً وإن لم يكن أقلهم أخطاء . ولعلي أستطيع أن أجلو ذلك في سيرته بقدر ما أصل إليه من وجوه الصواب في تلك السيرة التي بالغ كثير من ذوي الأغراض في تشويهها والحط من قدر صاحبها

ومهما يكن من الأمر فما أحسب من الناقمين على عرابي من يستطيع أن يماري في أنه كان زعيم حركة وداعية فكرة ، وأنه — أخطأ أو أصاب — كان مخلصاً فيما يفعل وفيما يقول، وأنه قبل ذلك كله وفوق ذلك كله كان أول مصري فلاح في مصر الحديثة خرج من بين عامة الفلاحين في قرية من قرى مصر فاضطلع بقضية، ونادى على رأس النادين بمطالب مصر ، وصار اسمه في موقف هام من مواقف نهوضها علماً على الجهاد ورمزاً للمقاومة حتى شاءت الظروف فامتشق الحسام وسار على رأس جيش من بنيها يذود عن أراضيها ويقف غير هازل ولا طامع في وجه النادرين الباطشين من أعدائها ...

بهذه الروح أكتب عن عرابي ، وعلى هذا الأساس أبين سيرته ، فالإخلاص في الرجال هو عندي مقياس بطولتهم الأول ، بل هو فيما أرى أصح المقاييس وأهمها ؛ أما الصواب والخطأ وما إليهما ، فأمور توجد في الأبطال وغير الأبطال ، ولا فرق فيها في كثير ولا قليل بين هؤلاء وهؤلاء !

ولد أحمد عرابي في عام ١٨٤٠ م في قرية تدعى هرية رزنة بمديرية الشرقية ، ونشأ الصبي القروي كما ينشأ الآلاف مثله في قرى مصر على نمط من العيش لا نحسبه يختلف كثيراً باختلاف العصور في هذه القرى التي نبتت على ماء النيل منذ الأزل ...

نشأ في هذه القرية الصغيرة ذلك الصبي الذي قدر له أن يجري اسمه يوماً ما على كل لسان في مصر ودرج بين لداته عرضة

للأمراض المختلفة ، يحيط به في قريته الجهل والفقر أينما اتجه ، ولا يجد حوله من مظاهر الحياة والعمران مثل ما يجده صبي مثله ينشأ في مدينة كبيرة أو يتلقى العلم المنظم في مدرسة منظمة

على أنه يذكر عن أبيه في مذكراته[1] أنه كان « شيخاً جليلاً رئيساً على عشيرته عالماً ورعاً تقياً نقياً موصوفاً بالعفة والأمانة » ؛ ومهما يكن من أمر أبيه فليس يعنينا في هذا المقام سوى أنه أرسل ابنه إلى مكتب القرية وهو كما يقول ابنه من منشآته فيها ، وفي هذا المكتب فتحت عينا الصبي على نور العلم لحفظ شيئاً من القرآن وتعلم القراءة والكتابة ؛ وتعهده صراف القرية زمناً فعلمه مبادئ الحساب

ومات أبوه وهو في الثامنة من عمره ، ولكن يتمه لم يحل بينه وبين أن ينال قسطاً من العلم في الأزهر فلقد أرسله أخوه الأكبر إلى هناك عسى أن يكون عالماً من علمائه ، ولكن الصبي لم يلبث بالأزهر كثيراً فعاد إلى قريته ، وكان من الممكن أن يعيش في تلك القرية ثم يموت فيها كما يعيش ويموت سواه من الفلاحين من أهلها . . .

ولكن الأقدار تخرجه من هذه القرية ليغدو فيما بعد رجلاً من رجال مصر ، وليثبته التاريخ في سجله ، بعد أن يصل اسمه إلى مسامع جميع الساسة في ذلك العصر ؛ وتنطوي السنون وتبقى ثورته صفحة من أهم الصفحات في تاريخ هذا البلد

أراد سعيد أن ينهض بالجيش، لا لأنه كان رجل حرب وأطماع، ولكن لأن الجيش كان ملهاته ، فأمر بتجنيد أبناء المشايخ والأعيان ، وكان من بين من جندوا ذلك الفتى الأزهري القروي الذي لم يكن له من عمل في قريته ، وكان يومئذ في الرابعة عشرة

وبالتحاق عرابي بالجيش تبدأ مرحلة جديدة في حياته ، ثم تنتهي من ناحية أخرى مرحلة تعليمه . ومن ذلك نرى أن كل ما ناله عرابي من المعرفة لم يعد ما تلقاه في المكتب ثم في الأزهر قبل سن اليفاعة ، اللهم إلا ما كان من مطالعاته الخاصة فيما بعد وهي أمر لا يمكن تحديده ...

ولطالما رمي عرابي بالجهل ثم عد هذا الجهل من أهم نواحي ضعفه ، بل لقد كانت تلك الناحية في مقدمة ما يهزأ به منه خصومه ، وبخاصة أولئك المؤرخون الأجانب الذين ينتابهم أبداً لذكر عرابي ما يشبه الحمى فيطلقون ألسنتهم فيه بلا حساب

ولست أحاول هنا أن أنسب العلم إلى عرابي فما أبعده عن أن يوصف بالعلم ، ولو كما كان يفهم أهل عصره من مدلوله ؛ ولكني من ناحية أخرى لا أراه من الجهل كما يصفون أو كما يسخرون ، ذلك أني أقيسه إلى جمهرة المتعلمين في عصره من أهل مصر ، وما كان لي أن أعدو ذلك فأقيسه إلى رجال جيله في أوربا إلا أن أعتبر مصر يومئذ في مصاف تلك الدول علماً وثقافة وحضارة . ولن توصف الشمعة لعمري مهما كانت ضئيلة النور بأنها مظلمة، ولا سيما إذا قيست إلى غيرها من الشموع وما على شاكلتها من المصابيح؛ أما أن تقاس إلى المشاعل القوية أو أن تنقل من ظلمة الليل إلى وضح النهار ثم يتحدث بعد ذلك عن مقدار نورها ، فهـذا ما لا يجوز إلا في حساب المغرضين والمبطلين

ومتى كان العلم الغزير من مستلزمات البطولة ؟ ألا كم شهد التاريخ من أناس لم يكن لهم من العلم إلا مثل حظ الرجل العادي منه بحيث لو أنهم قيسوا من هذه الناحية إلى معاصريهم من العلماء والفلاسفة لكانوا في حكم العدم ، ومع ذلك فلم ينل نقصهم هذا من بطولتهم أو يقعد بهم عن مواصلة السير إلى مثلهم التي رسموها ؛ وذلك أن قلوبهم كانت عامرة بما هو أغلى وأعظم من نظريات العلماء وأحلام الفلاسفة ... كانت قلوبهم عامرة بالإخلاص والحماسة والعزم وهي خلال لن تقوم عظمة حقيقية بدونها ولن تغني عنها سواها من الخلال مهما كان من قيمتها في مجال آخر ؛ ولرجل واحد وثيق العزيمة صادق الإخلاص متوقد الحماسة خير في قيادة الناس وتحريرهم من عشرات الفلاسفة النازقين في أوراقهم وكتبهم

وما كان عرابي فيما استخلص من سيرته خلواً من هذه الخلال ، بل لقد كان ما توافى له منها لا ينزل به في البطولة عن مرتبة شريف والمويلحي واللقاني ومحمد عبده وجمال الدين والبارودي وغيرهم من مثقفي عصره، إن لم يكن يرتفع به عليهم على ضآلة علمه بالنسبة إليهم. ولست أغلو في ذلك أو أتحيز ، وإلا فكيف انتهت إليه في وقت ما زعامة الحركتين الوطنية والعسكرية معاً ؟ ولقد كان في الأولى كما ذكرت من الرجال من هم أعلى كعباً منه في المعرفة، وفي الثانية من هم أرسخ قدماً في الجندية ؟ وهل يعزى ذلك إلى الحظ وقد كان عرابي من أكثر الناس شغباً على رؤسائه في الجيش ، أم يعزى إلى الجاه والثروة وقد كان فلاحاً ابن فلاح من بيت عادي لا ثروة له ولا جاه ؟

ألا إنه لا مناص لنا إذا أردنا الإنصاف من أن نعزو ذلك

(١) كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية

إلى أنه كان أكثر ممن حوله إيماناً وأقوى منهم جناناً وأشد منهم توثباً وتطلعاً ، وإن كان من أقلهم معرفة واطلاعاً ؟ وهنا لا أتردد أن أثبت رأياً آخر وهو أنه لا يجوز عندي أن يُعدَّ عليه ما يعزى إليه من جهل أو أن يؤخذ به ، وإنما ينبغي أن يعد له وأن يعتبر داعياً من دواعي فخره !

انتظم عرابي في سلك الجندية (نفراً) عادياً فما لبث أن ترقى بعد سنتين إلى رتبة (ملازم ثان) وكان ذلك حوالي عام ١٨٦٠ ثم إلى رتبة ملازم أول فيوزباشي في نفس العام ، ولم يمر عامان بعد ذلك حتى وصل إلى رتبة قائمقام (بك) وكان عرابي أول مصري وصل إلى هذه الرتبة كما يقول في مذكراته

وصل هذا الجندي من رتبة الجاويش إلى رتبة قائمقام في نحو أربع سنوات وما كان ذلك عن حظوة له عند أحد ، وإنما كان سلاحه ذلك القدر من العلم الذي أشرنا إليه، فبه تمكن عرابي أن يدرس القوانين العسكرية ويجتاز الامتحانات متفوقاً ، ويدلنا ذلك على ندرة المتعلمين في ذلك الجيش ، ولا شك أن هذا الترقي السريع قد بث في نفس الفتى القروي كثيراً من الطموح والإقدام ...

على أنه كان شجاعاً بطبعه في عصر كثيراً ما كانت تعد الشجاعة فيه ضرباً من العصيان والتمرد كما سيأتي بيانه ؛ ولسوف نرى من مواقفه في هذا العصر ما يزيد معنى بسالته ويظهرها مضاعفة ...

وأول ما عرف عنه في الجندية كراهته للعنصر الجركسي ، فكان لا يفتأ يقارن بين نصيب هذا العنصر ونصيب المصريين من المناصب ، فلا تزيده المقارنة إلا غضباً وكراهية لهؤلاء الأجانب . أليست هذه النزعة من جانبه هي نزعة الوطنيين في الجيش حينما تبدأ الحركة العسكرية ؟ ثم ألسنا نجد فيها جانباً من الوطنية ومعنى من معانيها ؟

ولكن بعض المؤرخين لا يفهم هذا من جانب عرابي إلا على أنه ضرب من الأنانية والجشع ، بل ليسرف بعضهم فيرميه بالتبجح قائلين: ما لهذا الفلاح وعليا المراتب في غير جدارة؟ وإنهم في ذلك ليمتدحونه من حيث لا يشعرون ! ولئن كان الطموح بالنفس والشعور بالقومية تبجحاً ، فماذا نسمي التقاعد والتخاذل والاستخذاء أمام الأجنبي ؟ ألا ليت كل تبجح يكون كتبجح عرابي هذا فما أعظمه وما أجله ، وما أجدره بالتقدير والإعجاب !

وليت شعري كيف يستطيع رجل في مثل موقفه أن يقنع المكابرين أن نزعته كانت قومية يقصد بها بني قومه جميعاً ؟ وأي عيب في أن يبدأ بنفسه فيرقى بها ؟ أليس مصرياً ؟ وهل كان يرتقي بغير مصريته إذا اعتز بنفسه ؟ على أنه لو أراد بالرقي نفسه فحسب دون أي اعتبار قومي ، فما وجه العيب في ذلك ؟ أيكون من العيب أن يتطلع الرجل إلى المعالي ، ولا يكون من العيب أن يرضى بتقدم غيره عليه حتى ولو كان ذلك الغير أجنبياً ؟

إن الرجل المخلص لا يقف ليقول للناس إنه مخلص وفي ذلك شك منه في نفسه ، ولا يكون هناك دليل على إخلاصه إلا ما يعمل في سبيل تحقيق مبدئه، أما الكلام فسبيله ميسور ؛ وفي استطاعة كل مبطل أن يملأ أسماع الناس بدعوى إخلاصه في غير مشقة .

« يتبع » الخفيف

الغدد والهرمونات

مقدمة « ليلى المريضة بالعراق »

تقرير طبي

[مرفوع إلى حضرة صاحب المعالي وزير المعارف]

للدكتور زكي مبارك

أيها الأستاذ الجليل

كنتم سألتموني منذ شهرين أن أقدم إليكم تقريراً عما صنعت في مداواة ليلى المريضة في العراق ، فأنا اليوم أجيبكم عما سألتم ، راجياً أن تغضوا النظر عما وقع من إمهال وتسويف

وأسارع فأعتذر عن تقديم هذا التقرير مطبوعاً إلى الجمهور في الوقت الذي أقدمه إليكم ، لأن لي في ذلك غاية نبيلة : هي تذكير زملائي من الأطباء بواجبهم في التعرف إلى الدراسات الأدبية والفلسفية ، على نحو ما كان يصنع الأطباء العظام في الأمم العربية والإسلامية ، وقد أعلنت هذا المنى منذ شهور طوال في مجلة « المعلم الجديد » التي تنشرها وزارة المعارف العراقية ، فاستقبله الأطباء هناك بالترحيب

ومعاذ الأدب أن يكون في نشر هذا التقرير بطريقة علنية دعاية لنفسي ، فما أطمع في أن أكون أستاذاً للحكمة الوجدانية بكلية الطب بعد أن صنع الأدب بحياتي ما صنع : فقوض عيادتي بشارع الدابغ ، وأغلق عيادتي بشارع فؤاد ، وأسارني إلى احتراف الصحافة والتدريس

وقد كنت نشرت بعض فصول هذا التقرير بمجلة (الرسالة) في السنة الماضية فارتاع زملائي من أطباء بغداد وشكوني إلى الجمعية الطبية المصرية ، وكانت حجتهم أنه لا يليق بالطبيب أن يفشيَ سرَّ المريض

وما أجهل أني أخطأت ، ولكن متى سلمت أعمال الرجال من الأخطاء؟ وهل يدَّعي العصمة إلا أهل الغفلة والحمق والخبال؟

إن أعظم مزية يتحلى بها كاتب هذا التقرير هي أنه يعترف سرًّا وعلانية بأنه إنسانٌ يخطئُ ويصيب ، وقد يشطح وينطح في كثير من الأحايين !

وما أتخوفه اليوم وأنا أقدم إليكم هذا التقرير قد تخوَّفته من قبل : فقد كاد ما نُشِرَ من هذا التقرير يزلزل الأرض تحت قدميَّ في بغداد ، واضطرني ذلك إلى الدفاع عن نفسي أمام « نادي القلم العراق » وفيه كثير من الأطباء ، فتقبل الزملاء دفاعي بأحسن القبول . ومن ذلك عرفت أن الأطباء قد يحسون معانيَ الإنسانية حين يتصلون برجال الأدب والبيان

وما أخفي عليكم أني كنت أعرف أن اهتمامي بمداواة ليلى سيعرضني لكثير من المكاره ، فهدتني الفطرة إلى أن أحتاط لنفسي فأوهمت أهل العراق أني أديب عظيم ، واستطعت بذلك أن أتصدر لتدريس الأدب العربي بدار المعلمين العالية ، على قلة ما أملك من الذخائر الأدبية ، وقد أعانني الله تباركت أسماؤه على تحقيق ما ادعيت ، فألقيت على تلاميذي وعلى جمهور أهل العراق محاضرات أسبوعية بكلية الحقوق كان لها في آذان أدباء بغداد رنين أي رنين

ولم أكتف بذلك، بل بالغتُ في سَتر الوقف فأنشأت الفصول التي رأيتموها في كتاب : « وحي بغداد » .

فإن عجبتم من أن أوفَّق إلى ما وفِّقتُ إليه في زمن لا يزيد عن تسعة أشهر فتذكروا أن الإخلاص قد يزعزع رواسي الجبال

أليس من العجيب أن أهاجر إلى بغداد وأنا طبيب فأرجع وأنا أديب ؟ !

* * *

ولكن ما الذي ستقرأونه في هذا التقرير الذي تعدُّ صفحاته بالمئات ويقع في ثلاثة أجزاء ؟

من المؤكد أنه يغاير التقارير التي أقدِّمها إلى مكتب تفتيش اللغة العربية من أسبوع إلى أسبوع

ستجدون في هذا التقرير صِراعاً مروِّعاً بين الحلم والجهل ، والرشد والغيّ ، والهدى والضلال . وستجدون فيه ما هو أخطر من ذلك : ستجدون فيه صِراعاً بيني وبين نفسي ، والجهاد الأكبر جهاد النفس ، كما قال الرسول

سترونني هززت شجرة النفس الإنسانية هزة عنيفة لأعرف

ما تحمل من الثمار المطوية والثمار الصحاح

ستروننى صنعت بالقلوب والنفوس ما تصنع الأعاصير بالشجر والنبات لا ينجو من عنفها إلا القوىُّ المتين

فإن رأيتمونى قدّمت إلى أسُونة وزارة المعارف تقريراً لم تعرف مثله قبل اليوم فاجزونى بكلمة ثناء تخفّف ما أصارتنى ليلى إليه : فقد رجعتُ من دارها مفطور القلب مصهور الروح .

وإن رأيتمونى أحدثت فى عالم الطب بدعة سيئة فاغفروا ذنبى ، فحسبى من المحنة أن أسكب الدمع كل يوم على ما أسرفتُ على نفسى من الهُيام بأودية المآقى ، والضلال فى مَهوى الملاح . أعاذك الله من بلاء الحب ، ونجّاك من فَتْك العيون السُّود !

أتذكر أيها الوزير الجليل كلمة جاءت فى كتاب « ثورة الأدب » الذى ألفه كاتب من أقطاب الكُتّاب فى هذا الجيل ؟

أتذكر أن ذلك المؤلف قال: إن هناك آفاقاً من المآقى يتحاماها كتّاب العصر الحديث ؟

فما رأيك فيمن يكفّر عن سيئات أولئك الكتاب فيتحمل المشاق فى ارتياد تلك المجاهيل ؟

لقد اقتحمتُ تلك الآفاق بلا زاد ولا ماء ، وأنا أعرف أنى أعرّض سمعى للأقاويل والأراجيف ، لأن الناس عندنا لا يفهمون كيف يدخل الطبيب على نفسه ليُشرّح على حسابها أهواء النفوس والقلوب والعقول ؟

اقتحمتُ تلك المهالك وليس لى إلا سنادٌ واحد هو الشعور بأنى أؤدّى خدمة للأدب والطب . وهل يُخدَم الأدب والطب بأفضل من التغلغل فى تشريح النزعات والأهواء ؟

وهل كنتُ أملك الفرار من الصُّنع الذى صنعتُ ؟

لقد قضيت نحو تسعة أشهر فى بغداد وأنا فى حوار موصول مع ليلى وظمياء ، وأنت تعرف كيف يتعرض القلب — حين يألف مثل هاتين الشيطانتين — للطواف بأركان الحقائق والأباطيل

أقول هذا وأنا أشعر بأنى لم أوفّق كل التوفيق فى تدبيج هذا التقرير لأنه خلا خلوًّا تامًّا من شوائب الرياء ، فى وقت صار فيه الرياء سيد الأخلاق ، وإلا فما الذى كان يمنع من أن أضيف إلى نفسى وإلى ليلى محامد ومناقب يسير بها الرُّكبان ؟ ما الذى كان يمنع من أن أقول إن ليلى لم تَعْتِبْ علىّ مرةً واحدة وإنى كنت فى هواها أعقل الناس ؟

منع من ذلك التعقل مانعٌ واحد هو الغرام بالصدق . منع من ذلك أنى أشعر بأن الأدب العربى أصبح على شفا الهاوية بفضل شيوع التدليس فى تصوير العواطف والغرائز والطباع

منع من ذلك أنى أبغض أشد البغض أن تشعر وأنت تقرأ هذا التقرير بأن فيه شيئاً من الزور والبهتان

وهل من القليل أن ترانى وصلت إلى ضمير الحياة العراقية ثم وصفتُه بأسلوب يخفى سِحرُهُ الدقيق على هاروت وماروت ؟

* * *

فى هذا التقرير ، أيها الوزير ، ما يشبه التحامل على الأطباء ولى فى ذلك عذر مقبول .

فأنت تعرف أن الحكومة كانت أوعزت إلى الجمعية الطبية المصرية أن تقيم مؤتمرها العاشر فى بغداد لتعيننى على مداواة ليلى المريضة فى العراق .

ولكن أولئك الأطباء حاربونى وقاتلونى بلا ترفق ، وقد جزيتهم بما يستحقون ، وأنا مع ذلك أشعر بأنى أحسنت إليهم كل الإحسان .

أما يكفى أن أسوِّر بقلمى رِفْلاً للمؤتمر الطبى العاشر ، فلماً رائعاً لم يتعهد مثله الناظرون ؟

سترى فى هذا التقرير أن ليلى — وإن بالغتْ فى الدلال — لم تُضمر غير الحب ولم تمنع الواشين الآثمين غير الصد والإعراض

سترى أن ليلى عرفت أنى لم أكن إلا طيفاً زار فى السَّحر بساتين الكرخ وبغداد .

ويؤذينى أن أعرف أنه قد يصعُب أن أرى ليلى بعد اليوم فقد تيدنى أهلى وأبنائى بقيود من حديد ، وقهرونى على أن أعترف بأنى من مصر لا من العراق

وإن رأيتم فى هذا التقرير حبًّا شديداً للأمة العراقية فلا تعجبوا ، فما ذقتُ طعم الحياة إلا فى العراق ، ولا رأيت صدق

القلوب إلا في العراق ، ولا عرفت جمال النيل إلا بعد أن رأيت فنون منه في دجلة والفرات

وما أسفتُ على شيء كما أسفت على أن لم يُقدَّر لشاعرنا شوقي أن يزور العراق .

وقد دعوتكم إلى زيارة العراق ، فتى تجيبون ؟

أحب أن أعرف متى أراكم في العراق بين قومى وأهلى ؟

أحب أن تسمعوا سجع الحمائم في الموصل ، وأن تروا غابات النخيل في البصرة ، وأن تعانوا بقايا السحر في بابل ، وأن تكحل أعينكم بغبار الصحراء في النجف ، وأن تستصبحوا بظلام الليل في بغداد

أدعوكم أيها الوزير إلى زيارة الأماكن التي قضت بأن يتموج هذا التقرير بضُباب الهدى والضلال .

أدعوكم إلى زيارة العراق لتواجهوني بما في هذا التقرير من الزائف والصحيح ، إن ارتبتم في بعض ما ستقرأون .

سترون في هذا التقرير رموزاً كثيرة ، وقد تعجزون من يحدثكم بأني سلكت فيه مسلك التمز والتجريح ، فإن سمعتم شيئاً من ذلك فاختبروه بأنفسكم على ضوء الحق لتعرفوا أني أخلصت النصح للأمتين العظيمتين : (مصر ، والعراق) .

وما الذي يوجب التصريح في مواطن يكفي فيها التلميح ؟

إن البلاغة تجعل اللَّبس والغُموض من أغراض الكتاب في بعض الأحيان فكيف تحرِّمون عليّ ما استباحه المفكرون في مختلف العصور والأجيال ؟

إن هذا التقرير يحدد صلات مصر بالأمم العربية والإسلامية ويدلُّها على مذاهب الخلاص من الشُّبهات والأراجيف . وهو كذلك يشرح المعضلات التي يتعرض لها الجيل الحديث في مصر والشرق ، وما كان يتيسر ذلك إلا إذا اعتمد الكاتب على رموز وإشارات يفهمها أُولو الألباب .

وإني لواثق بأنكم ستعجبون حين ترونني وصلت إلى دقائق لم يفطن إليها أحدٌ قبل اليوم وأنا أتلقى الوحي من ليلى ومن ظمياء وهل كان ينتظَر من رجل يلهو ويلعب أن يصل إلى ما وصلتُ إليه في تشريح السياسة الدولية في الشرق العربي والإسلامي ؟

ذلك شيء غريب ، ولكن الأغرب أن تتلقوا الحكمة عن أفواه المجانين !

وأُعيذكم أن تظنوا أني آذيت بهذا التقرير أحداً من الناس ، فقد عرضت بعض فصوله على نيلاي بالعراق قبل أن أعرضه عليكم فتلقته بالقبول ، وهي التي علمتني مذاهب الرمز والإيماء ، وسيُرى النقاد مني بداهية إن بدا لهم أن يعترضوا على ما في هذا التقرير من رموز لا يدرك مغازيها إلا الراسخون في الحب والطب

ولك يا معالي الوزير أن تَبلوَ أسرار هذا التقرير إن أردت لك أن تسأل — بيني وبينك — عما في هذا التقرير من غرائب وأعاجيب ...

وليس لك أن تطالبني بأن أفسر للجمهور ما يقصد إلى طيِّه الحكماء ، وأنا من الحكماء لأني بحمد الله مجنون !

* * *

في هذا التقرير خطاباتٌ شخصية ، فلا يرُعْكَ ذلك : فقد كان أدبي من مواسم الأفراح الروحية في بغداد ، وفيه صور كثيرة لعالم العراق وبعض أهل العراق ، وكان في نيتي أن أُحلِّي هذا التقرير بصورة ليلى — أعزها الحب — ولكني خشيتُ أن أخرج على أمرها العالي ، وهي قد أشارت بأن يصان وجهها الجميل عن شَرَه العيون .

لا تعجب من أن أفتتن بما وُفِّقت إليه في هذا التقرير ، فترى أني لم أُفرِّط فيه من شيء ، وسيدعوك إلى أن تستوحيَ ليلى المريضة في أسوان كما استوحيتُ ليلى المريضة في العراق !

* * *

أيها الأستاذ الجليل

سترى في هذا التقرير صفحات تشرح الحوادث التي كانت سبباً في وقوع فاجعة بغداد ، فاقرأ تلك الصفحات — غير مأمور — لترى أن ما وقع لم يكن أثراً لعداوة موجَّهة إلى الأمة المصرية ، وإنما هو نتيجة لتصرفات أوقعت فيها المقادير بعض الناس

لتعرف ما في أنفسنا من الصلاحية للاستبسال في خدمة المقاصد السامية بمعاهد الشرق

وكان في نيتي أن أطوى تلك الصفحات من هذا التقرير ، ولكن دعاني إلى إثباتها ما عرفتُ من أن بعض المفسدين يريدون أن يجعلوا تلك الفاجعة نهاية الصلات الودية بين مصر والعراق

وأرجو أن تعرفوا أني لم أتلطف في سرد تلك الأسباب ، ولم أضف إليها شيئاً يمليه الغرض في مراعاة مصر أو التحامل على العراق ، وإنما وقفت موقف الرجل الأمين الذي يقدر المسئولية أمام الله وأمام التاريخ

وعند قراءة الفصول الخاصة بتلك الفاجعة سترون أن الله قدر ولطف : فلم تكن تلك الحوادث إلا سحابة صيف ، وقد تقشعت بفضل الله الكبير المتعال

لقد قلتُ ما قلتُ ، وكتبتُ ما كتبتُ في الدفاع عن العراق ، ومن الله وحده أنتظر حسنَ الجزاء . فمن كان له هوًى في أن يصدَّني عن قول الحق فليمض في ضلاله كيف شاء ، فما أنتظر العطف من أحد ، وقد أقمت حياتي الأدبية على قواعد من الحديد

وما هذه الدنيا الصغيرة التي يتعادى فيها الناس بلا بينة ولا برهان ؟

وما بالُ قوم يؤذونني وما قدمت إليهم غير الجميل ؟

اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون

« مصر الجديدة » زكي مبارك

أبي ...

للآنسة الفاضلة فدوى ط .

« إلى النبراس الذي يضيء أفق حياتي ، إلى ذلك العزيز الذي يتململ الآن على فراش المرض في ظلمات السجن ، إلى أبي »

يا أبي ضاق بي الفضاء على رحب مداه وإذ ضاق صدري الكظيمُ
وعراني مما أصابك من نفـ ـيٍ وسجنٍ كآبةٌ وهمومُ
وحشةٌ تملأ الفؤاد وغمٌّ راسخٌ في جوانحي لا يريمُ
لا الأخ البرُّ يا أبي فيه للنفـ ـس سلوٌّ ولا القريب الحميم
أنت ظلّي الظليلُ في العيش إمّا لفحتني أو لوّحتني السموم
أنت ركني، لا قوّض الله ركني وملاذي البرُّ الحنيُّ الرحيم
يا أبي حال بعدك الأنس في الدا ر فأضحى وهو الأسى والوجوم
كيف تمسي، تُرى وكيف تصبح فالسـ ـجن ثقيل على النفوس أليم
ليت شعري هل كفّ عنك مضيض الـسـ ـقم أم أنت موجع مكظوم
يا لقلبي، وكيف جسمك في القرّ فهدّى به معنًّى سقيم
أنا دفءُ المهاد يجفوه جنبي ويح لي، كيف يزدهيني نعيم؟
ويح لي ، كيف أنشد الخفض واللين وأنت المقيد المحروم

* * *

يا أبي كلما تمدّت سجوفُ الليل فالليـل مدلهمٌّ بهيمُ
وغفت أعين، وقرّت نفوس حشوها خِسّةٌ وطبع لئيمُ
زيّن اللؤمُ قبحَ ما أبرمته من أمورٍ، واللؤم خلق ذميم
فاستراحت لخزيات فِعال هي عند الأحرار إثم عظيم
تشترى الذلّ بالكرامة فاعجب كيف يرضى ذلّ العبيد (زعيم)
راح يُزهى تيهاً بعارية المنصب يغري به صدره الموسوم
كل شؤم كانت بلادي بمنجى منه لولا وسامه المشؤوم
أرّقتني ذكراك ، والليل للذكرى كتاب مفسّرٌ مرقوم
قاري في السطور أخلاقك الزُّهر يزين الأخلاق قلب سليم
وأرى تلك الأبية لا تعـ ـنو لضيم يبغيه باغٍ ظلوم
راعها أن يعيـل بالوطن الأقدس ـ لا مال ـ مستبدٌّ غشوم
فمضت سمتها النبيل تردُّ الكيد عنه إذ أزمعته الخصوم
وأرى صحبك الكرام وكلٌّ نهجه نهجك السويُّ القويم
لم يضرْكم أن قيد القيد أيديكم ولاقت مرّ العذاب الجسوم
هم ، لو هوت نجـوم لإعظامٍ لأهوت نجلونّ النجوم
كلما همّ أن ينهنه منها بضروب النكال جانٍ أثيم
قام روحٌ من الإله يقويها فيشتد أزرها فتقوم

* * *

وطني ، بي مما عراك شجون وبقلبي مما دهاك كلوم
الرزايا حلت بساحتك والأيام جارت والبؤس فيك عميم
الأيامى ، ويا لبؤس الأيامى خضب الأرض دمعها المسجوم
رفرفت حولها فراخ مهازيل براها الشقاء فهي رسوم
أجنحٌ ما نمت قوادمها الزغبُ وقد هاضها المصاب الجسيم
هاضها اليتم وهي في جدة الريش ويا شدّ ما يلاقي اليتيم
والنسور الأباة لما استضيمت ضاق عنها في الأرض هذا الأديم
أنفت عيشة الهوان وراحت في سما المجد والعلاء تهيم
أعنقت تستجيب للواجب الأسمى دعاها إليه حقٌّ هضيم
لم تبال الهول المبيد ولم تفلل شباها صواعق ورجوم
ترسل الموت فاغراً فاه عن زرق حداد وهو الأكيل النهيم
يا ضحايا الجهاد في ذمة الله لأنتم مجدُ البلاد المروم
أي نار كنتم وقودَ لظاها لو وعاها لريع منها الجحيم
قد تركتم في مصحف المجد ذكراً هو باقٍ على الزمان مقيم
سطرته لكم مواقعُ حُمرٌ صبغتها جراحكم والكلوم

(جبل النار) فدوى

من الشعر المنسي لحافظ

إلى محرر المرأة

أرسل إلينا كثير من الأدباء جملة طيبة من شعر حافظ المنسي سنوالى نشره شاكرين لهم فضلهم وعنايتهم ، وهذه القصيدة أرسلها إلينا الأديب حسنين محمود حسنين بالاسكندرية وهي مما تجاوزه الديوان الذي طبعته الوزارة على أنها من أروع ما قال شاعر النيل :

لحاظك والأيام جيش أحاربه   فهذي مواضيه وهذى كتائبه
وهمين ضاق القلب والصدر عنهما :   غرام أعانيـــه وشوق أغالبه
وليل كمطل القوم كابدت طوله   وأيقنت أنى لا محالة صاحبه
كأن دياجيه صحيفة ملحد   تخط بها أعماله ومثالبه
قريت به جيش الصبابة والأسى   وأنزلته صدراً تداعت جوانبه
وعلمت نفسى كظم غيظى ولم أبح   بما فعلت بين الضلوع قواضبه
تماسكت حتى لو رأى القوم حالتى   رأوا رجلاً هانت عليه مصائبه
رجائى فى قومى ضعيف كأنه   جنان وزير سودته مناصبه
ودائى كداء الدين عز دواؤه   وحظى كحظ الشرق نحس كواكبه
فياليت لى وجدان قومى فأرتضى   حياتى ولا أشقى بما أنا طالبه
ينامون تحت الضيم والأرض رحبة   لمن بات يأبى جانب الذل جانبه
يضيق على السورى رحب بلاده   فيركب للأهوال ما هو راكبه
فما هى إلا أن تجشمه النوى   وما هو إلا أن تشد ركائبه
ويحرج بالروى مذهب رزقه   فتفرج فى عرض البلاد مذاهبه
أقاسم إن القوم ماتت قلوبهم   ولم يفقهوا فى السفر ما أنت كاتبه
إلى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم   فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه
فلو أن شخصاً قام يدعو رجالهم   لوضع نقاب لاستقامت رغائبه
ولو خطرت فى مصر حواء أمنا   يلوح محياها لنا ونراقبه
وفى يدها العذراء يسفر وجهها   تصافح منا من ترى وتخاطبه
وخلفهما موسى وعيسى وأحمد   وجيش من الأملاك ماجت كواكبه
وقالوا لنا رفع النقاب محلل   لقلنا نعم حق ولكن نجانبه

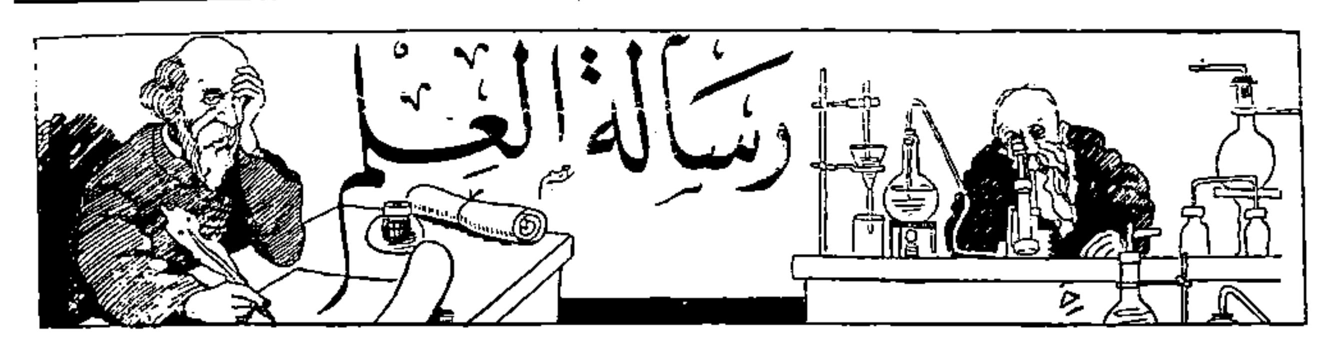
فى أفق البساتين ...

وهى بساتين بركات بالشرقية ، انتقل إليها سعد باشا رحمه الله فى الفترة الأخيرة من حياته انتجاعاً للراحة ، وكان بصحبته نفر من الميامين من أبنائه وفيهم مكرم وحافظ والدكتور محجوب ثابت ، وكان لهم مجلس حافل بالأنس والسمر قال حافظ فى وصفه :

لما مددنا بساط اللهو وانبعثت   روائح الأنس تزرى بالرياحين
أغنت شمائلُ سعدٍ عن معتّقة   من المناقيد تسرى فى الشرايين
وأرشفتنا سجاياهُ على ظمأٍ   ألذّ من رشفات الخرّد الفُين
فى أنس سعدٍ وفى أوفى صراحته   ترى جلالاً ورأياً غيرَ مأفون
لما مثلت على أنس بحضرته   رأيتُ بين الندامى وجه هارونُ
رأيتُ وجهاً صبوحاً حوله نفرٌ   من الميامين من شمّ العرانين
إذا دعاهم إلى الجلىّ حسبتهمُ   على أعاديهمو مثل الشواهين
وإنْ دعاهمْ إلى أنسٍ رأيتهمُ   مثل الحمائم فى خفضٍ وفى لين
وجالَ محجوبُ جولاتٍ موفّقةٍ   فأحرز النصر فى كل الميادين
عصى نَذِيرَ الحجا عمداً وصاح به :   « ما لذة العيش إلا للمجانين »
وحـــلم سعد وسعد يعجبان معاً   من لوثة الشيخ — شيخ الأقرباذين
يرغى ويزبد بالقافات تحسبها   قصْفَ المدافع فى أفق البساتين

وتجد بقية القصيدة فى الديوان من باب الإخوانيات بعنوان الدكتور محجوب !

(م . ف . ع)



وزن الكون
وعدد ما به من الكترونات
للدكتور محمد محمود غالى

لم يكن الموضوعان الأخيران اللذان تعرضنا لهما على صفحات الرسالة: « الكون ينتشر » و «الكون يكبر» من الموضوعات السهلة التي يمكن للقارئ أن يتصورها كغيرها، ولعله اقتنع إلى حد أنه موجود فى كون محدود، وأنه محمول على حيز مُتقوَّس، وأن عاله أحد ملايين العوالم التي تبتعد كلها الواحد عن الآخر، والتي تقع كلها فى قشرة كرة كبيرة لكنها جوفاء، شاء لها القدر أن تتسع وتمتد على نحو كرة من المطاط، وهي بهذا تكوّن كوناً واحداً محدوداً منتهياً يختلف عن الكون اللانهائي الذى تصوره أقليدس والذى اعتقده العلماء منذ الاغريق حتى عهدنا القريب

ولم يكن فى وسعى أن أواصل اليوم موضوعاً دقيقاً كهذا، وأخطو بالقارئ خطوة أخرى، أدله فيها على الطريقة التي توصل بها العلماء إلى معرفة عدد الجسيمات أو الألكترونات المكونة للكون، كنتيجة للدراسة المتقدمة، دون أن يتخلل أحاديثنا فترة من الراحة ودون أن نهيئ للذهن فرصة للتأمل، هذا الشعور من التأمل والراحة نود أن يشعر به القارئ فى هذه الأسطر من هذا المقال

* * *

لم تصبح دراسة هذه الظواهر الحديثة من تمدد الكون وابتعاد جميع العوالم بعضها عن بعض وما يترتب على ذلك من معرفة وتحديد عدد جسيمات هذا الكون، من المسائل التي تدخل فى حدود الهندسة والميكانيكا المعروفة، ولا فى حدود تصوراتنا المعتادة، مع أن التجارب الطبيعية التي ثبت لنا منها فرار جميع العوالم بعضها عن بعض، وبالتبع فرارنا عنها، بسيطة جداً لا تدعو لكثير من التأمل، وأبسط ما فيها أنها وقعت كلها داخل المجموعة الشمسية التي نحن فيها، بل وقعت جميعها فوق سطح الأرض، بل فى حجرة فى أحد المراصد الأرضية المتعددة

عجيب ألا يعرف العالم الطبيعي من هذه الحجرة المتواضعة أن الكون محدود فحسب بل يحاول أن يعرف من رسائل الطيف العديدة التي تصل إليه، والمنبعثة من العوالم البعيدة، عدد الألكترونات المكونة للخليقة، وهي التي لا يتغير عددها فى نظر العالم الطبيعي ما دامت مكوّنة لكون محدود.

إن النتائج التي ترتبت على معرفة تمدُّد الكون وقياس الدرجة التي يكبر بها فى خلال الزمن، والتي تتلخص فى معرفة عدد الألكترونات المكونة لهذا الكون، مهما كان جسم الألكترون متناهياً فى الصغر، ومهما كان الكون متناهياً فى الكبر، قد تبدو للقارئ غريبة، لذلك رأيت لزاماً أن أحاول رفع هذا النوع من الدهشة لديه قبل شرح الأسباب التي أدت إلى مثل هذه النتائج

لو سألنا عالماً طبيعياً أن يُحصى لنا عدد الذرات ونوعها وبالتبع عدد الألكترونات(١) والبروتونات(٢) التي تتكون منها مدينة القاهرة، فإن من المستحيل أن يعطينا هذا العالم أى فكرة عن هذا العدد مهما استعان بعثات الإخصائيين والعلماء. إن محاولة إحصاء المنازل وما بها من أثاث ومعرفة نسبة أوزان جميع العناصر التي تدخل فى تكوينها، بل إن إحصاء الأحياء، الإنسان منها والحيوان والنبات، ومحاولة الوصول من ذلك إلى عدد ما تحويه

(١) ذكرنا ان الذرة مركبة من نواة وسطى يدور حولها الكترونات وهذه الألكترونات جسيمات كهربائية دائمة الدوران حول مركز الذرة أى حول النواة كما تدور الأرض حول الشمس

(٢) جسيمات داخل النواة مركز الذرة وسنأتى على شرحها فى مقال قادم

المدينة الناجمة من الكترونات ضرب من العبث

ولو أننا سد ذلك حاولنا أن يعطينا عالمنا الطبيعي فكرة عن عدد الألكترونات الموجودة فى مياه النيل مدة فيضانه ، وهى كمية أكبر بكثير من الموجودة فى القاهرة لأجابنا أنه قد يستطيع بعد البحث والتحرى أن يدلنا على فكرة ولو تقريبية عن هذا العدد . صحيح أن هناك صعوبة كبرى فى تقدير تصرف المياه المتدفقة فى النهر فى مثل هذه المدة من السنة ، كما أن ثمة صعوبة فى تقدير أطوال النهر وأحجامه فى المناطق المختلفة وفروعه المتعددة ، بل إذا أردنا أن ندخل فى حسابنا ما تحمله المياه من طمى تعترضنا صعوبات أخرى ، ذلك أن الطمى يختلف مقداره فى الزمان والمكان ويتركب من أكثر من عشرين عنصراً ، لكل عنصر ذرات تختلف فى عدد الكتروناتها عن الأخرى ، ولكن مهما يكن من الأمر ، فإن عالمنا الطبيعى قد يستطيع بعد مجهود مضن أن يعطى فكرة عن هذا العدد من الجسيمات ، وأن يحدده بين رقمين يتعلقان على دراسة هيدرولوجيه طبيعية معقولة .

ولو أردنا أن نعرف عدد الذرات المكونة للكرة الأرضية الحاملة لنهر النيل وغيره لهان الأمر قليلاً ، ذلك أن وزن الارض معروف بينما وزن مدينة القاهرة أو لندرة غير معروف ، بل إن الكثافة المتوسطة للكرة الأرضية معروفة أيضاً وهى تساوى ٥٫٢٥ . وليس المجال هنا لإثبات ذلك . وهكذا يحاول العالم أن يعطينا فكرة تقريبية رغم ما يتخلل الموضوع الأخير من مصاعب، منها عدم معرفتنا مقدار النسب الموزعة بها العناصر المختلفة فى باطن الأرض . ومهما يكن من الأمر فإنه يبدو أن الخطأ النسبى فى معرفة العدد التقريبى لذرات الأرض بالنسبة للعدد الحقيقى لها أقل بكثير من الخطأ النسبى عندما نحاول عد هذه الجسيمات لمدينة القاهرة .

ولو أننا سألنا العلماء اليوم عن عدد الذرات ونوعها وبالتبع عدد الألكترونات والبروتونات المكونة للكون ، وعن بعض البيانات الأخرى الخاصة به مثل نصف قطرة قبل تمدده ودرجة تقوسه وكتلته وكثافته وغير ذلك لأعطونا الإجابة التى نراها فى هذا المقال — أجابة يظهر أنها عند هؤلاء العلماء أقرب للحقيقة من كل تقدير سابق

وليس السبب فى ذلك أننا نرى الكون وحدوده ، ولا أننا نعرف أجزاءه جزءاً جزءاً ، ولا أننا نحيط بمقدار كل عنصر من العناصر المكونة له ، ولكن لأن ثمة معارف فى مسائل أخرى مثل تمدده تجعل بين هذه المعارف وبين الكترونات الكون رابطة تسمح بالوقوف على هذا العدد ، بحيث إذا كانت معارفنا فى هذه المسائل صحيحة كان عدد الألكترونات المكونة للكون صحيحاً . ولعل القارئ قد أدرك أن هذه المعارف لا بد وأنها تتصل مباشرة بعلاقة بين الكون فى مجموعه وبين الألكترون المتناهى فى الصغر والذى قلنا إنه يدور فى المادة حول النواة كما يدور القمر حول الأرض

قد يتراءى للقارىء أن هذا الترتيب غريب لا يتفق مع المنطق فى شىء . كيف أستطيع أن أعرف عدد الكترونات الكون أكثر مما أعرف عدد الكترونات الكرة الأرضية ؟ ، بل كيف أعرف عدد جسيمات هذه أكثر مما أعرف جسيمات مدينة القاهرة ؟ هذه المدينة التى أعرف حدودها أكثر مما أعرف الأرض ، وهذه الكرة الأرضية محدودة أمامنا أكثر من الكون . إن طيارا مثل كامبل الإنجليزى قطع دون توقف المسافة بين لندرة ومدينة سدنى من أعمال استراليا فى ثلاثة أيام وثلاث ساعات ، أى أن الطيار يدور فى عهدنا حول الأرض فى أسبوع واحد . كيف تصعب معرفة عدد جسيمات الأرض عن الكون ؟ وهذا الأخير مكون من ملايين الملايين العوالم — كل عالم مكون من ملايين الملايين الاجرام والشموس .

ولكن لا أريد أن يعجب القارىء لذلك فإنه على قدر المستندات العلمية التى أمامنا تكون درجة معرفتنا للأشياء صحيحة .

هب جدلاً أن صديقاً لك شيد مسكناً خاصاً فى إحدى ضواحى القاهرة ، وأنك عثرت فى أوراق صديقك على مستندين : أحدهما يدلك على أن الأرض والمبانى قد كلفته ثلاثة آلاف جنيه، والثانى يدل على أن الأثاث قد كلفه ألف جنيه أخرى ، عندئذ تستطيع أن تؤكد أن هذه الدار كلفت صاحبها ٤٠٠٠ جنيه

وهب أن صديقاً آخر سألك عن تكاليف حجرة المكتب بمفردها أو عن القيمة التى دفعها ثمناً لأشجار الحديقة أو لسجادة موجودة فى غرفة الاستقبال ، فإنه يتعذر عليك عندئذ أن تعرف أيا من هذه . قد تحاول أن ترجع إلى أسعار السوق لتعرف كم كلفته هذه السجادة الفاخرة ، ولكن يعوزك مثلاً معرفة التاريخ الذى اشتراها فيه ، وقد يعوزك إن عرفته تعيين الظروف التى

اقتناها فيها ، فقد يكون ابتاعها فى مزاد تصادف وقوعه فى ذلك التاريخ ، وقد يكون المزاد خاصا بصديق له فلا تعرف أن كان تساهل معه فى تقدير الثمن : ثمة عوامل عديدة تجعل تقدير ثمن أثاث كل حجرة ضرباً من المحال . ولـكن ليس لصديقك أن يدهش إذا علم أنه إن فاتك معرفة ثمن جزئيات الدار، فلا يفوتك معرفة الثمن الـكلى لهذه الدار ؛ إذ أن من حقك دائماً إن تقول لمحدثك : لا تسائلنى عن أجزاء الدار ولا عما تكلف صاحبها لشراء هذه السجادة أو المـكتبة ، كل هذا لا أستطيع أن أعطيك فكرة عنه ، ولـكن سلنى عن الدار بأكلها أجبك أننى أعرف

هذا ما أود أن يعلق بذهن القارئ، فلسنا فى حاجة لأن نتجول فى الـكون لنعرفه فقد يكون لدى العلماء مستندات جديدة تدل على عدد ما به من الـكترونات أو على طول نصف قطره قبل ابتداء تمدده أو درجة تقوس الحيز فيه فى الوقت الذى يتعذر علينا أن نعرف فيه عدد الألـكترونات المـكونة للأرض أو لمياه النيل أو لمدينة القاهرة

على أننى إن تحاشيت فيما تقدم من مقالاتى أن أشغل ذهن القارئ بالأرقام ، أرى لزاماً على هذه المرة أن أدله على وصف الدار التى يسكنها وعلى حدود المملـكة التى هو فرد فيها هذا الـكون الذى ذكرنا أنه كروى وأنه يكبر بات أرضاً خصبة للتفكير العلمي . وللقارئ فيما يلى النتائج الـكمية الخاصة بالـكون وفق آراء أدنجتون Eddington العالم الانجليزى المعروف

(١) سرعة ابتعاد العوالم	٥٢٨ كيلو متر فى الثانية لـكل ٣ر٢٦ مليون سنة ضوئية
(٢) نصف قطر الـكون قبل ابتداء التمدد	١٠٦٨ مليون سنة ضوئية
(٣) كتلة الـكون	٢ر١٤ × $١٠^{٥٥}$ جرام أى ١ر٠٨ × $١٠^{٢٢}$ قدر كتلة الشمس
(٤) عدد الألـكترونات المكونة للكون تساوى عدد البروتونات	١ر٢٩ × $١٠^{٧٩}$
(٥) كثافة الـكون الأولى	١ر٠٥ × $١٠^{-٢٧}$ جرام س م^{٣} أى بمعدل ذرة واحدة من الهيدروجين لـكل ١ر٥٨ س م^{٣}
(٦) الثابت الـكونى	٩ر٨ × $١٠^{-٥٥}$ س م$^{-٢}$

ومما يجدر بالذكر أن هذه النتائج التى هى آخر حدود معارفنا حتى سنة ١٩٣٤ مرتبطة الواحدة منها بالأخرى ، بحيث إذا عرفنا إحداها عرفنا البقية منها ، وتتعلق كلها بالسرعة التى تبتعد بها العوالم أى بالرقم ٥٢٨ الموجود بالصف الأول من الجدول

على أن درجة معرفتنا لسرعة السدم والعوالم البعيدة وعلاقة ذلك بتمدد الـكون تزيد سنة عن أخرى، فى سنة ١٩٣١ لم يكن يعرف العلماء سوى ٩٠ سديماً وكانت أكبر سرعة يعرفونها هى سرعة سديم الأسد وهى ١٩٦٠٠ كيلو متر فى الثانية ، ويبعد عنا هذا السديم بمسافة يقطعها الضوء فى ١٠٤ مليون سنة



المنظار الفلـكى لمرصد مونت ولسون الذى تم صنعه حديثا وتبلغ فتحة منظاره ٥ر٢ متر

أما فى سنة ١٩٣٦ فقد وصلت معارفنا إلى قياس سرعة ١٧٩ عالماً وسديماً من العوالم البعيدة عنا وكان أكبر هذه السرعات لسديم موجود فى اتجاه الدب الأكبر وهو يبتعد عنا بمسافة ٢٤١ مليون سنة ضوئية ويبتعد بسرعة ٤٢ ألف كيلو متر فى الثانية ، وهذه المعلومات الأخيرة عرفناها من كتاب [1] الأستاذ الـكبير بريا Bruhat أستاذ السوربون الذى يشغل الآن كرسى الطبيعة

(١) هذا الـكتاب القيم من مجموعة الـكتب المسماة باسم العالم أميل (Emile Borel) وقد صدر فى سنة ١٩٣٩ الطابع السكان

الفلكية، هذا الكرسى الذى أوجدته جامعة باريز منذ سنة ١٩٣٧ وقد طالعنا فى الأسبوع الماضى أن منظار مرصد مونت ولسون بأمريكا الذى يبلغ قطره مترين ونصف المتر والذى ترى صورته الفوتغرافية هنا يكشف العوالم المفصولة عنا بمسافة ٥٠٠ مليون سنة ضوئية

ذلك ما بلغناه من المعرفة ، وللقارئ أن يتصور مبلغ خطورة هذه المعرفة منذ أن ذكر وليم هرشل (William Hershel) فى أواخر القرن الثامن عشر أن للسدم اللولبية جزراً كونية شبيهاً كل منها بعالمنا المجرة . ومنذ أن نشر أينشتاين فى سنة ١٩١٥ النسبية فى وضعها العام وتنبأ «دى ستير» فى سنة ١٩١٧ بابتعاد العوالم عنا ، ووضع شابلى Shapley فى سنة ١٩١٨ القانون الذى يربط القـدر المطلق (Magnitude Absolu) للنجوم المتغيرة (Cepheides Variables) بفترة تغيرها ، ومنذ أن اكتشف هبل (Hubble) فى سنة ١٩٢٤ نجوماً فى السدم القريبة من هذا النوع الأخير ، ناهيك بما بلغته الأجهزة الفلكية من الكمال

* * *

عجيب هذا الإنسان! كل يوم يزداد معرفة عن يوم، حتى أصبح الكثير من الأمور لا يخفى على ذكائه .

أنستطيع أن نحصى ألكترونات الكون ؟ نعم . وأى عجب فى ذلك ما دمنا نتبع طريقاً علمياً سليماً يعطينا هذا القدر .

عندما نريد أن نعرف وزن كرة صغيرة من مادة معينة نفكر عادة أن نضع هذه الكرة على كفة ميزان ، ولكن إذا استحال وزنها لتناهى صغرها بدا للشخص أن القيام بهذه العملية مستحيلاً ، ولكن العالم الطبيعى يعرف مثلاً علاقة بين وزن الكرة ، وبين سرعتها فى الماء أو الهواء ، وحيث أنه يتيسر له قياس هذه السرعة فإنه يصل لمعرفة وزن هـذه الكرة ، وهو لذلك غير محتاج إلى الاستعانة بالميزان للوقوف على حقيقة ثقلها .

وإنما أردت بالكرة المتقدمة أن أقدم للقارىء مثلاً كيف يصل العلم بطريق غير مباشر لاختراق طريق المعرفة ، وليس هناك أى علاقة بين سرعة الكرة المتقدمة وموضوع تمدد الكون أو معرفة وزنه .

ولو أن السحب المحيطة بالكرة الأرضيـة كثيفة بحيث لا نرى الشمس بل تكتنفنا ظلمة حالكة ، لما استحال علينا أن نعرف دورة الأرض حول نفسها . فللوصول إلى ذلك نرقب كرة معلقة بخيط طويل بعد هزها فنلاحظ أنها لا تهتز فقط بل نلاحظ دوران المستوى الذى تهتز فيه .

وهكذا لم يكن العالم الكبير (فوكوه) بحاجة ليرى الليل والنهار ليعرف من تعاقبهما دورة الأرض ، بل استـدل على ذلك من بندوله المعروف الذى علقه من قبة « البانتيون » . مدفن العظماء فى باريس ، هذه القبة التى ترتفع عن سطح الأرض ٧٨ متراً . ذلك البندول نرى شبيهاً له فى متحف فيننا الحالى .

وهكذا يزداد قاموس المعرفة وتتقدم العلوم بين البشر ، ولعل فى وزن الكرة الصغيرة المتقدم ذكرها وفى بندول فوكوه الذى عرف منه دوران الأرض سبيلاً عند القارئ ليعرف أن قطر الكون ووزنه وعدد ألكتروناته مسائل يجيز معرفتها العلم

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة



أقصوصة من الأدب الإنكليزي يتز

الشـــاعر

[جائزة نوبل]

للأستاذ صلاح الدين المنجد

مشى يتخلّع ثملاً فى حنايا المدينة ، وقد أغفى الليل وسجا السكون ، فطرّق سمعه نغمٌ حلوٌ يصعّده ناى حزين . فسى إليه ، جذلان طرباً . فقد كان للأنغام أثر فى نفسه ، وسلطان على حسه ، وسيطرة على هواه ...

فلما جاز بالدار التى ترسل النغمات ... نادى صاحبها ، فقام إليه يندى وجهه فرحاً ، فرحب به وقال له :

— ما هذا الهجران الطويل يا هانرهان ... فلقد صرمْتَ حبالنا منذ بعيد ، فنحن بعدك فى شوق يلح ، وكآبة تضنى ... أهلاً ... أهلاً حللت يا هانرهان ... !

فلكزته زوجه بجمع كفها ، وهمست فى أذنه : أن اطرده ، فإن الناس يتقولون الأقاويل عليه ، وإن الكهنة يقصونه عن المعبد كلما أتى إليه ... ثم إنه ثمل ... دعه ... دعه يمض وحيداً

فصاح بها زوجها قائلاً : « أأطرده أن جاء إلىّ بعد سنين طويلة ... ؟ إنه شاعر رقيق القلب ، طيب النفس

ودخل الشاعر الدار يتبع ربها ... فقاده إلى غرفة تكدّس الناس فيها من الجيران ... فغشيها وقد شخصت الأبصار إليه . وقال فتى كان هناك :

— أليس هذا هانرهان الذى ذاع صيته ... وكان معلماً فطردوه ... ؟

فأخرسته أمه وقالت له :

— لو أنه سمع مقالتك لانذرا عليك سبًّا وشتماً ... أنصت !

وساد السكون ... ولكن أحد الفتيان نادى الشاعر لينشد القوم شعراً . فأبى رب الدار ذلك عليه ... لأنه لم يصب بعد من الراح شيئاً ، ولم ينل من الراحة قسطاً . فأخذ الشاعر يعب الخمر وقد جاشت فى كأسها ... ثم يحول بصره نحو الباب لينظر إلى (وانا) فتاة الدار ، وقد أتت تعانق حزمة من الحطب الجزل ، لتؤرث بها النار ، وشعرها الأشقر الجعد متهدل على وجهها وعينيها

وقام إليها الفتيان مسرعين ليأخذوا منها الأعواد . ولكنها رمت بها إلى الموقد ... وانثنت وثغرها المرفاف يضحك لترقص مع فتى لها ، فغضب الشاعر ... وضرب الأرض ، ثم دفع بالفتى وهو يزبد صائحاً :

— لقد قطعت طريقاً طويلة ، وأتيت لأراها ... فأنا الليلة فتاها ...

وأسرعت (وانا) إلى الشاعر فمدت إليه يديها والخجل يعلو خديها ... وعزفت الموسيقى ، وقام الناس ليرقصوا ... ولكن وا أسفاه ... لقد انحنى الشاعر فرأى حذاءه الذى حال لونه وبلى فبدت من خلاله أصابع رجليه التى نفذ إليها الطين ، وأبصر سرواله الممزق ، وساقه العارية الملوثة بالشعر الأسود الغليظ ... فارتد إلى مكانه وهو يقول :

— لا أستطيع الرقص والموسيقى تسرع

ولها الناس ، وجنّت الموسيقى ، وعربدت الأنغام ... والشاعر جالس مع (وانا) يقص عليها أحلى الأقاصيص

* * *

وأدركت الأم خطر الشاعر الذى يريد أن يسحر الفتاة ... فنادتها ولكنها أعرضت عنها ... فأقبلت الأم على الموقد تتظاهر بتأريث النار ، وتصغى إلى حديث هانرهان . لقد سمعته يحدثها عن « ديردر » ذات الأيادى البيض ... التى قادت الأمراء إلى الموت فاتوا وجداً بها وهياماً . وأحزنها فقدهم ... فطفقت تبكى ... آه يا (وانا) ... إن الأزهار تذرف الدمع فى السحر حزينات رحمة بها ،

وإن الشعراء يتغزلون ويبكون لها... ما كان أجملها وأعذب صوتها يا (وانا) !

واضطربت الأم ، وأرهفت أذنها . إنه يقول لها : « مثَلُ الشمس والقمر يا (وانا) كمثل المرأة والرجل ، خلقا ليتحابا ... ألا تنظرين إليهما يتنقلان فى السماء ؟ لقد خلقت يا (وانا) مثلى قبل أن يخلق الله الناس لكى ترقص بين طيّات السحاب الرقيق ... ترتفع مع النغم الهادئ ، وتهبط مع النشيد الجميل بخفة وسرور ، على حين يسقط الناس صرعى لاغبين ! »

وانتصبت المرأة مضطربة الشعور ، ومشت إلى زوجها وهو يلعب الورق، لحدثته حديث الشاعر والفتاة .. ولكنه ازورّ عنها يضحك منها . فأحزنها الأمر ، وقامت إلى عجوز فقصت عليها نبأ (وانا) مع الشاعر الخيف : « ويلى كيف السبيل إلى طرده ... إنه ساحر ملعون ... فلأحرضنّ الفتيان عليه ! »

وجاءت إلى الفتيان وقالت لهم : « ويحكم ... ألا تستطيعون نزع ابنتى من هذا الشاعر فترقصوا معها . . . هيا ... هيا ! »

وقام الفتيان.. ولكنهم ارتدوا خائبين.. فالوا إلى الشاعر يلحون عليه فى الرقص.. فأذعن بعد لأى .. وانتصب يرقص مع الفتاة ..

وبينا هو كذلك ... إذ طرب ... فاندفع لينشد الشعر ... فخرست القيثارة ... وأنصت القوم وقال هانرهان :

« يا أصابع المـــوت المخيفة . . . ! »

« لن تمسّى روحينا فى هذا المكان . . . »

« ولكن فى ذلك الوطن الغالى الحبيب ... ! »

« حيث تبسم الزهور وترفّ الثغور . . . »

« من رأد الضحى ... حتى جنوح الأصيل . »

« حيث تدب الجداول . . . الجذلى . . . ! »

« تحمل موجات الجمة العذبة الشقراء . . . »

« وحيث يلعب الشيخ الهِمّ على الأوتار . . . »

« فى الغابة المليئة بالذهب والفضة . . . ! »

« وحيث الأميرات ذوات العيون الزرق الصافية »

« يرقصن على الحشيش النضر بفرح وكبرياء ...! »

كان يغنى بحماسة وشوق و (وانا) تتقرب منه ، وقد حرك إنشاده شجونها وملك عليها أمرها ... فلما فرغ من إنشاده ... أطرقت (وانا) وسقط الدمع من عينيها ندى . فقال أحد الفتيان :

— أيها الشاعر . . . أين هذه البلاد التى تصفها فى شعرك ؟

(وانا) إنه يخدعك ... إن الطريق طويلة ... والوطن بعيد !

وقال فتى آخر :

— ليست بلاد الصِّبا هذه يا (وانا) إنك لم تخلقى لتصاحبى هذا المجنون !

عندئذ شخصت (وانا) ببصرها إلى الشاعر الحزين . . . كأنها تريد أن تسأله شيئاً ... ولكنها وضمت كفها بين كفيه ورفعتهما إلى أعلى ... وقالت بصوت رخيم :

— إن الوطن لقريب منا . . . يا شاعرى . . . إننا نستطيع إدراكه الآن ... إنه هناك .. على ذرى الهضاب ذات الرفيف .. بالقرب من الغاب التى تأويها الريح ذات الرفيف ...

فصاح الشاعر :

— نعم فى ذرى الهضاب ... يا فتاتى ... ياذات العيون الزرق ... ولكن الموت لن يجدنا ... هناك ... لأننا نختفى بين السحاب الأبيض الجميل ..!

وانا .. ! ياذات العيون الزرق ... هل تريدين المجئ معى ..؟

وذعرت الأم وقالت لعجوز كانت إلى جانبها :

— كيف السبيل يا جارتى إلى طرده ؟

— ولكننا لا نستطيع ... إنه شاعر الآلهة ، ومن يطرده تنصب عليه اللعنات تترى فى الغدوات والعشيات! ثم يجف الضرع ويموت الزرع ، وتهلك النفوس .. !

— ربّاه عونك ! إن فى لسانه السحر ..

— كان عليك طرده .. ولكن .. اسمى .. تعالى .. سنخرجه وهو راض عنا ، تعالى ..

وخرجت العجوزان ثم عادتا تحملان حزماً من الفصفصة الخضراء ، وكان الشاعر يكلم (وانا) ويقول :

— « إن الديار يا وانا ضيّقة والعالم فسيح ، ولن تجدى يا فتاتى مخلوقاً تيّمه الحب ، يخاف الليل أو الفجر ، والشمس أو النجوم ، وأشباح الأماسى وأطياف الأسحار ، هيّا يافتاتى . »

واقتربت الأم من الشاعر فربتت على كتفه وقالت له :

— هات يدك يا هانرهان ..

وقالت العجوز :

— أنت قوىّ يا هانرهان . . . ساعدنا على ربط هذه الحزم الخضر ...

وتقدّم الشاعر يربط الحزم بحبل والعجوزان تفكان العقد



الفرقة الإيطالية للغناء في دار الأوبرا الملكية

الثقافة غير محصورة في القراءة والكتابة . الثقافة تجمع بين الفن والغناء والأدب والعلم والمسرح ؛ على وجه التخصيص . فقد ولّى الزمان الذي فيه كان يقال : تأدب فلان إذا قرأ كذا وكذا . ومعنى ذلك أن متأدب هذا الوقت يحق عليه أن يرهف الحس لألوان الفن ؛ ويميل الأذن لضروب الغناء والعزف ، ويقلب النظر فيما يجرى على خُشب المسرح ، إلى جانب المطالعة والتلقي

والكلام هنا على الغناء والعزف . فمن يخبرني على أي وجه تقوم الموسيقى السائرة في مصر مقام مصدر من مصادر الثقافة ؟ أما الغناء الدوّار على ألسنة أهل الصناعة فمرذول ، لما فيه من الإسفاف والابتذال وضيق المجرى ، فضلاً عن مسخ طائفة من الأغاني الأفرنجية . وأما العزف فقد جمد وجفّ بفضل جماعة قصروا هممهم على التقليد ، وفي ظنهم أنهم حضَنة الموسيقى ؛ عفا الله عن المعهد الملكي للموسيقى العربية ، وأصلح من يده بمال الأمة !

الموسيقى عندنا غير صالحة ، وليس في وسعها أن تساير النحت والتصوير والرسم — وقد جل شأنها جميعاً على أيدي الفنانين المصريين — في تهذيب الجانب الفني من طبائعنا ، ولا في إسعاف من يهوى الموسيقى الجيّدة بغيته . ولذلك لا بدّ لمن ينشط لما وراء « البشرف والسماعي والموّال والطقطوقة » أن ينصرف إلى سماع الموسيقى الغربية . وهذه وزارة المعارف تجلب في فصل الشتاء من كل سنة فرقة أفرنجية تعمل في دار الأوبرا الملكية .

ومما يورث الأسف بل الحزن أن الفرقة التي هبطت دار الأوبرا لهذه السنة (وهي إيطالية) لم تصنع شيئاً في سبيل الثقافة . وذلك لأن الموسيقى الغربية فيها الحسن والقبيح ، والرفيع والساقط ، والطريف والمبتذل . فكأنّ من وكل إليه لمّ أفراد هذه الفرقة (وهو إيطالي) قال في نفسه : « ليس في مصر من يحسن السماع ،

التي يعقدها ويجرّان الحبل نحو الباب ، والشاعر منهمك في الربط .. والفتاة تنتظر .. حتى إذا كان عند الباب دفعت الأم به ، فهوى إلى الشارع لا يعي ..

واستفاق الشاعر يبكي ... فضرب الباب ... وصعد الزفرات وأرسل اللعنات ... ولكن لم يجبه أحد ...

وساد السكون ... وتلاشت الأنغام . فقد مضى الشاعر في طريقه يذرف الدمع ... وارحمتا له ! ... لا رفيق ولا حبيب، لا كأساً يجيش فيها الخمر، ولا فتاة ترهف لأناشيده وأنغامه الأذن

وقالت له نفسه : هيا إلى البحر . فلن يسمك شيء سواه !

وجلس فوق الصخور الشم يستمع إلى تصفيق الموج ، ويصغي إلى همس الريح السجواء .. فطرب واندفع يغني ، وكان الضباب الهف يغمر الفضاء ويحف بالشطئان ، وكانت أشباح الليل ترقص حوله .. هنا وهناك تصعد من البحر وتهبط من السماء !

لقد خيل إليه فجاءة أن طيف الأميرة التي حدث (وانا) عنها يناجيه ...

ولكن ... آه ! إنه يتذكر الحبل والعقد ... أهو حبل ؟ لا ... تلك أفعى خرجت الآن من البحر ... ها هي ذى تحيط به يا لله ! لشد ما تخيف . لقد وسعت كل شيء: الأرض، السماء حتى النجوم الخافقات ... !

ولكن .. لا .. ها هو ذا طليق ، فمشى يتماوج ويعربد ويغني

لقد اختطفته الأمواج ، وحفت به الأطياف ، وحملته الأشباح على الزبد الجياش ، وهي تغني .. وتقول :

« هيا لنحمله إلى بنات الهضاب ... إلى الحسان الراقصات هناك ... فهو لن يذوق الحب في الأرض ... لقد دب الغناء في نفسه .. وجثم الظلام فوق قلبه ، دعوه يهيم .. دعوه يمت ... دعوه يحلم ببنات الهضاب»

صلاح الدين المنجد

وليس فيها من يميز اللحن الجيد من اللحن الرديء » . قال هذا أو نحوه ثم جاء بسرقة لا تتجاوب أطرافها ، إذ فيها نفر من المغنين الحذاق ، وكثير من المغنين الضعفاء . وأحسن ما فيها القائد الأول للعزف واسمه فتّو .

وأما القطع التي أدتها تلك الفرقة فبينها وبين الفن الخالص مسافة . ذلك أن طائفة منها بالية والأخرى مبتذلة ؛ وهذه القطع تكاد تؤدى كل سنة في مصر، وأسماؤها لاكتها الألسنة : مثلاً Tosca, Thaïs, Trairata, la Bohême, Rigoletto, Aïda وهذه القطع تلحق اليوم ، في أوربة ، بنوع الأوبرة الشعبية ، لأن الألحان فيها لا تعدو ، في غالب الأمر ، النغم القريب المنال . ودليل هذا أن أكثر القطع التي أديت من تلحين فردي Verdi وهذا الملحن الإيطالي (١٨١٣ — ١٩٠١) عمد ، إلا في قطعته الأخيرة : Falstaff ، إلى اللحن الوجداني تساوقه الآلات في استرخاء . وهذا اللون من التلحين عقبه ما يقال له : الموسيقى الثيرية : Vérisme ، وخصائص هذه الموسيقى المأساة المفرطة ، والخطابة في الغناء ، وهز الأعصاب ، والمبالغة في التعبير . ومن أصحاب هذا اللون من الموسيقى Puccini ملحن La Bohême و Tosca المذكورتين قبل . هذا وفيما أدته تلك الفرقة قطعة للملحن الفرنسي Massenet ، واسمها Thaïs ، وليس ذلك الملحن في المرتبة الأولى ولا الثانية — عند أهل الدراية — لما في صناعته من التكلف وقرب الإحساس والرخاوة .

فإذا أنت استثنيت هذه القطعة الأخيرة (وقطعة نجيء الآتي ذكرها) تبين لك أن تلك الفرقة عُنيت بتأدية قطع إيطالية . ومما لا يخفى على البصير بالموسيقى أن فن الأوبرة إنما بلغ الغاية أو قاربها على يد نجيز Wagner الذي حطم القيود اللاتينية ، ثم على أيدي فئة من الفرنسيين (Debussy مثلاً) والروس (R. Korsakow مثلاً) . والفرق الذي بين الأوبرة الإيطالية والأوبرة الفجرية ، على سبيل التمثيل ، كالذي بين ديوان ينظمه شاعر رقيق كما يقال اليوم ، وشاعر فحل كما كانت العرب تقول .

ومن الغريب أن الفرقة أغفلت الأوبرة الحديثة من ألمانية وفرنسية وروسية وغير ذلك . وقد بدا لها أن تعلن أنها تؤدي قطعتين لفجنر هما : Lohengrin و Tristan et Yseult ؛ فأهملت الأولى ، وأما الثانية فقد أدتها على شكل كان الإهمال عنده أفضل بقي أن الفرقة أعلنت أنها تؤدي قطعة طريفة Nouveauté اسمها La Baronne de Carini لملحن إيطالي مجهول : Mulé فما بلغني هذا حتى أسرعت إلى دار الأوبرة ، مهتزاً . فإذا القطعة شرّ ما مذّق أذني من التلحين (الرومنتيكي) المفرط في (الميلودرام)

* * *

إن ظن بعضهم أن لا رغبة في الموسيقى الحقة بمصر، وأن الحظ الأعلى فيها لألوان الأوبرة البالية والمبتذلة ، فليقصروا ظنهم على أنفسهم أو على الفئة الكبرى من الإفرنج المقيمين بهذا القطر . فأما في المصريين من يرغب في الموسيقى الجيدة، الطريفة، الموسيقى التي تقوم مقام مصدر من مصادر الثقافة

عفا الله عن وزارة المعارف ، فهذه خمسة آلاف جنيه أنفقت لإعانة فرقة لم تصنع لمصر شيئاً .

بشر فارس

كشف أثري عظيم

وفق المسيو مونتيه رئيس بعثة الحفريات الفرنسية للعثور على مقبرة ملوكية لقدماء المصريين بالقرب من صان الحجر

والمقبرة لملك اسمه شو شنك ، والمعروف أن خمسة ملوك بهذا الاسم قد حكموا مصر ما بين عامي ٨٥٠ و ٧٥٠ قبل الميلاد ، وأولهم هو الملك شو شنك الذي استولى على القدس وغنم هيكل سليمان بن داود(ع)، ولا شك أن هذه المقبرة لواحد من هؤلاء الملوك الخمسة سيصل إلى حقيقته البحث العلمي فيما بعد

وقد عثر المسيو مونتيه في الحجرات التي تم فتحها على تابوت من الفضة يمثل شكل آدمي له رأس الصقر ، وبداخل هذا التابوت مومياء محنطة سليمة مغطاة برداء من الذهب . وقد تبين من قراءة النقوش أن المومياء للملك شو شنك نفسه ، وبجوار التابوت جثتان باليتان ، وعلى الجثة الموجودة إلى اليسار عقد من الحجر الأحمر مصنوع على شكل سلسلة من الذهب ، وفي الحجرة جملة من التماثيل الجنائزية الصغيرة التي يعثر عليها عادة في مقابر الموتى من قدماء المصريين، وفيها أيضاً جملة من الأواني الجنائزية المقفلة بالطين، وقد فتح مسيو مونتيه ثلاثاً منها — بحضرة صاحب الجلالة الملك — فوجد بداخلها ثلاثة تماثيل من الفضة للملك شو شنك ، وهي عبارة عن أوان على هيئة تماثيل ، وفي داخل كل منها بعض أحشاء الميت

وفى جانب من الغرفة آنية كبيرة من الفخار مسدودة بالطين ، يبلغ ارتفاعها ١٣٠ سم ، وقطرها ٣٠ سم ولم تعرف محتوياتها بعد

وتحيط بهذه الغرفة عدة غرف لم يفتحها مسيو مونتيه ، ولكنه أحدث فى إحداها ثغرة تيمناً بزيارة صاحب الجلالة الملك ، فظهر من خلالها غرفة متوسطة الحجم بها « ناووس » كبير من حجر الجرانيت الأحمر يعلوه غطاء من حجر البازلت الأسود ، وقد دلت القرائن على أن صاحب هذا الناووس من الشخصيات الملكية ، وأن اللصوص لم تصل أيديهم إلى مقبرته

ولهذا الكشف قيمة كبيرة من الناحية التاريخية ، لأن مقابر ملوك الأسرات : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ لم يسبق اكتشافها من قبل ذلك ، وإنما عثر على بعض تماثيل لهم فى مدينة طيبة ، ولا شك أن هذا الكشف سيجلو تاريخ هذه الأسرات الثلاث ، وقد كانت فترة غامضة فى تاريخ قدماء المصريين

وقد قرر الدكتور دريوتون مدير مصلحة الآثار نقل محتويات غرفة الملك (بسوسنس الثانى) التى تحتوى على تابوت الملك شوشنك إلى دار المتحف المصرى لتعرض على الجمهور

كشف أثرى آخر

علمنا أن بعثة كلية الآداب التى تشتغل فى الحفر بمنطقة (تونة الجبل) تحت رياسة الأستاذ سامى جبره عثرت فى هذا الأسبوع على أشياء هامة من الوجهة التاريخية

وكانت البعثة قد عثرت على غرف المحفوظات الخاصة بكهنة هرمو بوليس فى جنوبى المنطقة وعثرت فيها على ملف كبير من البردى يتضمن نصوص القانون المدنى المصرى

وقد وجدت البعثة أخيراً ملفاً آخر يبلغ طوله مترين ونصف متر موضوعاً فى قادوس مقفل ومختوم بالطين . وقد فض هذا القادوس فوجدوا فيه ملف البردى الذى دلت القراءة الأولى لما ورد فيه من النصوص على أنه يتضمن نص أسطورة طويلة من الأساطير الشعبية

وقد أرسل الملف إلى معهد الآثار ليتولى الإخصائيون قراءته وترجمته .

وعثرت البعثة أيضاً على تمثال صغير للآله (مين) إله التناسل عند قدماء المصريين يبلغ طوله نحو ٦٠ سنتيمتراً ، وقد صنع من الخشب ، وغطى بطبقة من الصفائح الذهبية اللامعة

ويعد وجود هذا التمثال غريباً فى تلك المنطقة لأنه لم يكن بين معبوداتها الرسمية التى هى طائر الإيبيس والقرد . ويمثل كل منهما إله الحكمة « تحوت » معبود تلك المنطقة وقد سماه الإغريق « هرمز » وسموا المدينة على اسمه « هرمو بوليس »

والبعثة مستمرة فى الكشف عن السراديب الأرضية الطويلة الممتدة تحت الأرض إلى مسافات بعيدة وتحتوى على مئات الآلاف من جثث الطيور والقرود المحنطة .

فلم التشريفات الملكية

عنيت شركة مصر للتمثيل والسينما بتصوير غدوات صاحب الجلالة الملك وروحاته مع ضيفه الكريم صاحب السمو الأمبراطورى محمد رضا بهلوى ولى عهد إيران ، وجاء التقاط المشاهد المختلفة على أجمل شكل سواء فى النهار أو فى الليل ، وكان اختيار المشاهد حسناً ، ويساوق المشاهد عزف رقيق يناسب مقتضى الحال . إلا أن صوت المتكلم كان رفيعاً من غير داع إلى ذلك

الى الأستاذ توفيق الحكيم

هل لك أن تنضو مسوح ذلك الجاه فتشرف من برجك المنيف على مستوضح منك الرأى فيما كتبت بالرسالة عن « كتابين قيمين ، قد ورد فيهما طعن على الإسلام » قلت إنك بحثت المسألة من جهة الدين فبدا لك العجب لأن الكتب التى تعرضت للمسيح بالطعن والتجريح تطبع وتنشر فى أوربا ولا يفزعون . وهنا أسألك متحدياً : أى برنامج من برامج التعليم فى أوربا قررت فيه تلك الكتب فى قاعات الدرس والامتحان وفرضت فرضاً على الطالب أن تكون من أسس ثقافته الرسمية التى تحدث عنده عقداً نفسية تتولى تنميتها تأثيرات الأستاذية القوية . لا مانع من البحث والتحليل والتمحيص وإلا لما تكونت سبيكة الذهب من العروق الملقاة فى التراب، ولكن للبحث أزمنة وأمكنة قد مضت منذ أزمان. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا طعن صريح، باعترافك أنت، لا شبه علمية تستحق جلال الدرس وعظمة العلم، وفوق ذلك كله أنها موجهة لشخصية الرسول أكثر منها لدينه ، فكيف يستسيغها شعور الجماهير من المسلمين . ألا ترى أن انجلترا حرمت

دراسة نظرية دارون (النشوء والارتقاء) فى مدارسها احتراماً لشعور الجماهير، بيد أنها لم تحرم دراستها خارج دور التعليم؟ وأما قولك (إنى أعتقد دائماً أن صحة العقل وصحة العقيدة كصحة الجسم لا بد لها من الهواء الطلق حتى تكتسب المناعة) فذلك حق لا مرية فيه ، كما أن حصوله وثبوته الآن واقع بين المسلمين لا مرية فيه . ألا تعلم أن فى الأزهر والمعاهد الدينية تدرس شبه الجبرية والمعتزلة والرافضية والمجسمة والشيعة وسواهم ويرد عليها فى جو علمى محترم لأنها شبه لا طمن تدسه العصبية المقوتة . ألا تدرى أن المذهب الأبيقورى مذهب اللذة والإباحية يدرس فى الأزهر ويرد عليه فى جلال من العلم وحرية من الفكر ، ومثله مذاهب الشيوعية والشعوبية ، وسواهم. فليس إذاً « حبس العقيدة والعقل فى قفص من الزجاج خوفاً عليهما من خطرات النسيم » كائناً بين المسلمين. وما على الشاك إلا أن يغشى بيئات الدراسات الإسلامية فيعود منها متغير الرأى هادئ البال وإن فى هذا لبلاغاً

« كلية اللغة » أحمد عبد الرحمن عيسى

فتش عن المرأة

فتشنا عن أول من قال: (فتش عن المرأة) فى العربية وعن قوله فوجدنا هذين البيتين فى كتاب (الكشكول) لبهاء الدين العاملى غير معزوين، وهما فى معنى القول الفرنجى Cherchez la femme :

إذا رأيتَ أموراً منها الفؤاد تفتتْ
فتّش عليها تجدها من النساء تأتتْ

* * *

جمعية أنصار التمثيل والسينما

انتهى الأساتذة سليمان نجيب ، وعلى شوقى ، وعبد الوارث عسر من تأليف رواية الحجاج بن يوسف ، وقد رأت الجمعية رأياً جديداً يتعلق بتمثيل الشخصيات فى العصور العربية ، ولهذا ستبدأ فى دراسة هذه الرواية بمحاضرة يلقيها الأستاذ على شوقى عن «عصر الحجاج بن يوسف» ثم يعقب عليها الزميل عبد الوارث عسر بكلمة تعد تمهيداً لدراسة الشخصيات العربية فى ذلك العصر ووضعها على الأشخاص الذين سيقومون بتمثيلها من أعضاء الجمعية . ورغبة من الجمعية فى فائدة الجمهور من هذا الموضوع الطريف ، رأت أن تكون هذه المحاضرة عامة يحضرها من يشاء

وتبدأ المحاضرة بدار الجمعية ٨ شارع البورصة الجديدة بحضور جميع الأعضاء فى تمام الساعة السابعة من مساء الخميس ٣٠ مارس ١٩٣٩

رسالة شكر وتقدير

تلقينا من الأستاذ شاهين ابراهيم شاهين كلمة مسهبة ينوه فيها بالمقدرة البارعة التى يعالج بها شيخ الصحافيين الأستاذ خليل ثابت بك الموضوعات الاجتماعية فى المقطم وبخاصة موضوع (أى السياسات الإيجابية تختار مصر) ونحن نشاطر الكاتب الفاضل إعجابه بالأستاذ خليل بك وثناءه عليه ، ونكتفى لقوات المناسبة بهذه الإشارة الموجزة لهذه الرسالة الطيبة .

حياة الرافعى فى العراق

قرأنا فى جريدة (البلاد) العراقية ما يأتى :

اقتراح على وزارة المعارف — حول كتاب حياة الرافعى

سيظهر قريباً كتاب «حياة الرافعى» للأديب الكبير الأستاذ محمد سعيد العريان ، وهو كتاب أدبى فذ ، يبحث عن جميع الخصومات التى حدثت بين الرافعى وأدباء عصره ، فحبذا لو أن وزارة المعارف تشترى منه كميات كبيرة لتوزعها على طلابها ، وعلى مكتباتها ؛ وبذلك تسدى أكبر خدمة أدبية نحو فقيد البيان المرحوم مصطفى صادق الرافعى

« بغداد » مقترح

(الرسالة) : ظهر كتاب حياة الرافعى منذ قريب .

اعلان مهم

ليس للمشترك بالتقسيط أن يطلب الهدية قبل سداد الأقساط . وليس للمشترك الحق إلا فى كتاب واحد من الكتب التى نشرناها إما بالتخفيض وإما بالمجان



من وحي السيرة

١ — بطل الأبطال : للأستاذ عبد الرحمن بك عزام

٢ — صور إسلامية : للأديب عبد الحميد المشهدي

— ١ —

لا شك أن الإنسانية لم تعرف فى تاريخها من عظمة النفس ، وسمو الروح ، ونبل الغرض ، وقوة العزيمة ، وصفاء النفس ، وحسن السيرة ، مثل ما عرفت فى شخصية محمد صلوات الله عليه ، ذلك النبي الكريم ، والرسول العظيم ، والمثل الأعلى للبطولة والجهاد فى سبيل العقيدة والإخلاص لله !

هذه العظمة الإنسانية التى تمثلت فى شخصية محمد صلى الله عليه وسلم وفى سيرته ، كانت وما تزال وستظل على مدى الدهر روعة تملأ القلوب وتهز مشاعر الناس فى جميع العصور والأجيال سواء آمنوا أم كفروا ، وتفتح لأهل الفكر والأدب والتاريخ آفاقاً مشرقة يقبسون من نورها ، ويهتدون بهديها ، ويجدون فى كل جانب من جوانبها مادة مواتية ، وثروة باقية للفكر والأدب والتاريخ ...

والذين كتبوا فى سيرة النبي وشخصيته كثيرون حتى ليخطئهم العد ، وما أحسب سيرة ولا شخصية قد أخذت من عناية الكتاب والأدباء والمؤرخين فى الشرق والغرب مثل ما أخذت تلك السيرة الحميدة ، وهذه الشخصية العظيمة . وعلى الرغم من ذلك فما زال القول فيها جديداً ، والبحث عنها طريفاً ، والحديث فى أسرارها مهما طال وتكرر حلو سائغ كله الروعة والجلال ، يهش له القلب ، وتهفو نحوه الروح ، وترتاح له النفس ...

وهذان كتابان من وحى الشخصية العظيمة ، والسيرة الخالدة أسعدنى بهما الحظ ونحن فى مطلع الهجرة حيث يحلو الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويجب التأسى بسيرته .

أما الأول فكتاب « بطل الأبطال » للأستاذ عبد الرحمن بك عزام ، وهو جملة أحاديث تناول فيها المؤلف الفاضل أبرز صفات النبي صلى الله عليه وسلم فتكلم عن شجاعته ، ووفائه ، وزهده ، وقناعته ، وتواضعه ، وتعبده ، وعفوه ، وصفحه ، وبره ، ورحمته ، وفصاحته ، وبلاغته ، وحسن سياسته ، وحكمته فى تصريف الأمور ، ونظام الحرب ، ووضع الأساس لحرية الدعوة وحرية العقيدة للأديان السماوية جميعاً ، ثم تكلم عن أثر الدعوة المحمدية فى النفوس ، وصلتها بالقلوب ، وكيف فعلت فعلها فى الفرد ، وشمل سحرها الجماعة ، فبدلت الناس غير الناس ، والأرض غير الأرض ، ومازلنا وما زال العالم فى آثار ذلك حتى آخر الدهر .

ولقد أحسن الأستاذ المؤلف كما يقول أستاذنا المراغى إذ تناول السيرة الكريمة من الناحية الخلقية ، فإن الناس أحوج ما كانوا فى أى عصر من العصور إلى أن يهتدوا بأخلاق محمد ، ويقبسوا من نوره . وزاد الأستاذ إحساناً إذ استخلص هذه السيرة الكريمة من الحادثات والوقائع الصحيحة فى التاريخ ، فلم يرسل القول دعاوى يعوزها البرهان ، ويلتمس لها الدليل ، بل قرن الرأى بالحجة ، وثبت القول بالواقعة ، واستدل للحديث بالرواية الصادقة

وإذا كان الشاعر لا يفهمه إلا شاعر كما يقولون ، فالرجل لا يقدره إلا رجل كذلك ، والأستاذ عزام بك رجل من أهل الجلاد والجهاد ، والرأى والعزيمة ، وإنه ليكبر ذلك فى شخصية محمد صلوات الله عليه ، ويتخذه مثلاً أعلى للبطولة والرجولة ، فلما وقف بقبره أخذ مأسوراً — كما يقول — بهذه البطولة ، وتملكه روح لا زال يشرق من غيابة الماضى ، هو روح سيد الرجال ، وبطل الأبطال ، وبهذه العقيدة تحدث الأستاذ الفاضل عن النبي الكريم ، فجاء كتابه صفحة مشرقة بالإعجاب والإشادة ببطولة محمد ورجولته ، وما ينقصها إلا الإفاضة والاستيعاب بما يكافئ عظمة السيرة الخالدة ، والأستاذ يعترف بذلك ونرجو أن تسعفه الفرصة فيفيض ويستوعب وإنا لمنتظرون .



على هامش الفنون

المسارح القومية في النرويج

نقرأ في الصحف التي تعنى بالدراسات المسرحية العالية أنباء شتى عن المسارح المعروفة كما نقبل مشغوفين على دراسة آدابها؛ ولذلك ليس بالعجيب أن نسمع أن جمهرة قراء الصحف المصرية ونقاد المسرح ودعاة هذا الفن وهم كثيرون يعرفون - إن لم يكن عن دراسة - حركات التطور الفكري في المسرح الانجليزي وحب الفرنسيين للمسرحيات الاستعراضية الراقصة في الوقت الذي يفضل فيه الألمان « الأوبرات الكلاسيكية » وهكذا

ولكن هؤلاء جميعاً لا يعرفون - وقد زحمتهم الصحف بعدد محصور من الأنباء عن مسارح خاصة - أن في العالم مسارح أخرى وآداباً مسرحية عريقة غير تلك التي يعلمون . بل مَنْ من هؤلاء جميعاً يفكر في ترك دراسة المسرحين الانجليزي والفرنسي - ولو إلى حين - ويعرج على دراسات أخرى أكثر تعمقاً وأنق فكرة وأرق فلسفة ثم يأتي بعد ذلك ليطالعنا بدراسة مقارنة ؟!

إن الفكرة التي قدمت من أجلها العجالة السابقة لن تجد الأذن السميعة، ولذا أجد نفسي مضطراً لطرق الباب وفق طريقة سبقني إليها غيري في تقدمة المسارح المعروفة إلى جمهرة القراء وجموع المتأدبين آملاً أن يجد دعاة النقد المسرحي في مصر مادة جديدة لهم عند ما يتحدثون عن مسرح جديد بالنسبة إليهم وهو المسرح النرويجي

— ٢ —

أما الكتاب الثاني فكتاب : « صور إسلامية » للأديب عبد الحميد الشهدي ، وهو - كما يقول المؤلف الفاضل - أفق من آفاق الحياة المحمدية ، وصورها الكثيرة ، مازج الحقيقة فيها الخيال ، وخالط فيها الفن التاريخ ، دون أن يعدو على حقائقه ، أو يستر الخيال جمال الحقيقة الرائع ، وجلالها الواقع .

قال المؤلف : فما أجريت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، ولا أخضعت اتجاه التاريخ من أجل طبيعة الأسلوب، وإنما حاولت بقدر المستطاع أن أخضع الفن ليكون في خدمة الحق والتاريخ، لتبدو السيرة المحمدية في جمالها الشفاف ، وفتنتها الأخاذة وأسرارها الاجتماعية ، وسياستها الخالدة . وليس القصد من هذا كله إلا أن أستخرج معين السيرة من تحت جلامد التعابير الخشنة والمنعنات المملة ، وكثرة الروايات الطاهرة للحقائق ، وأن أنظمها أسلوباً قصصياً سهلاً ليستطيع الناس أن يستوعبوا نواحي الصورة التطبيقية للشريعة الإسلامية التي جاء بها القرآن، وفصلتها سيرة سيد الأنام!

والواقع أن المؤلف الفاضل قد وفق في غرضه ، واستطاع أن يصل إلى غايته في تجلية السيرة على هذا النمط الذي شرحه ، وإنه لنمط قويم ، ونهج قريب إلى النفوس والأرواح . وما أستطيع أن آخذ عليه في ذلك إلا بعض هنوات في الأسلوب ، والتهويل في التصوير ، والخروج في بعض المواقف عن حدود الحياة الإسلامية كما وصفها التاريخ . وإنك لتقرأ في صدر الجزء الثاني من كتابه حديثه عن تحرش قريش بالنبي وأصحابه ، فكأنك تقرأ وصفاً لمظاهرة تسير في شوارع القاهرة هاتفة صاخبة . ولعل مرد هذا إلى ما عرف عن المؤلف الفاضل من ثورة الشباب ، وإنها لثورة جامحة تتمثل لك في كتابه ، بقدر ما تتمثل لك رزانة الأستاذ عزام في كتابه

وكتاب « صور إسلامية » يقع في جزئين ، انتهى بهما المؤلف في الحديث عن السيرة إلى بيعة العقبة وإسلام عمرو بن الجموح من سادات يثرب، وقد وعد بالجزء الثالث عن قريب، وإنا لنرجو له التوفيق حتى يصل إلى الثانية ، وينتهي إلى النهاية .

محمد فهمي عبد اللطيف

والنرويج بلاد فى طبيعتها ما يساعد على خلق أدب مسرحى يعبر عن البيئة والأفكار التى تجول فى رؤوس هذا الشعب الذى يعيش فى شبه عزلة عن العالم . بل إن النرويجيين قوم خياليو النزعات ميالون إلى الابتكار الخرافى، ولذا كان لهم مسرح وكانت لهم آداب مسرحية، وفى بلادهم مسرحان قوميان أسسا فى أواخر القرن الماضى أحدهما فى العاصمة «أوسلو» والثانى فى مدينة «برجن»

وقد ظل هذان المسرحان القوميان فى عملهما دون أية حاجة إلى مساعدة الحكومة حتى عام ١٩٢٧ عند ما فكر أولو الأمر فى مساعدتهما ماديًا فأجدت المساعدة وشجعت على إيجاد مؤسسة فنية أخرى هى « المسرح النرويجى » Det Noroshe Teatre

وقبل ظهور الكاتبين النرويجيين هنريك أبسن وبيورنسون لم تكن للمسرح النرويجى أهمية تذكر، وكان محصوراً داخل دائرة خاصة لا صلة تربطها بالحياة الأدبية ؛ ولكن ما حل عام ١٨٥١ وعين الشاب هنريك أبسن فى وظيفة فنية Scenic director بمسرح «برجن» حتى بدأ المسرح النرويجى عهداً جديداً . فهناك كتب المؤلف الشاب مسرحيته الأولى وما بعدها مفرغا فى كل ما كتب تجاريبه الفنية ومعلوماته التى استفادها من عمله، والتى صارت دستوراً لمن أتى بعده لا من كتاب النرويج بل لجميع الكتاب فى كل أصقاع العالم

ولعل الظروف التى قيضت هنريك إبسن لخلق مسرح نرويجى جديد لم ترد أن تتركه يناضل وحده فشدت أزره بمؤلف مسرحى آخر ظهر فى نفس الوقت هو بيورنسترن بيورنسون . وكان أن ظهر على خشبة المسرح عدد كبير من نوابغ الممثلين والممثلات الذين ساروا جميعاً وفق طريقة تقليدية ظلوا يتوارثونها حتى شهدها الجميع أخيراً عند ما احتفلت كبيرة ممثلات النرويج جوهان دايبواد البالغة من العمر سبعين عاماً بيوبيلها الذهبى ونجحت هذه الطريقة نجاحاً كان مثار حسد الشباب الذى قام ينادى مطالباً بالتجديد

ولقد اقترن ظهور ابسن وبيورنسون بنهضة فكرية كانت مؤلفاتهما المسرحية مثارها . وبدأ الشعب يقبل على التمثيل وآدابه كفن ضرورى جيل مثل الموسيقى والنحت والتصوير والدراسات الأدبية ... كما أثبت ظهور هذين الكاتبين أيضاً أن « الدراما » تستطيع أن تحتل مكانة أرفع وتصل إلى مستوى عظيم ، ومن هنا نشأت النهضة المسرحية Renaissance وأقبل الناس على المسرح فظهر نوابغ الممثلين وعظيمات الممثلات ، واستحالت بلاد النرويج فى العصر الحديث إلى ما يمكننا أن نشبهه بأثينا فى عصورها الذهبية القديمة ، فلم يكن عسيراً وقد ارتقى كتاب المسرح بأفهام الناس أن تنشأ المسارح القومية وأن تعمل فيها الفرق الأهلية وأن يقبل عليها الشعب مشجعاً مما حفز بعض المهيمنين على المرافق من ذوى المكانة على إغراء الدولة لتضع هذه المسارح تحت رعايتها وتقدم لها المساعدات اللازمة

ولرب سائل يسأل وقد عرف أن للفرقة القومية المصرية برنامجاً تعمل على تنفيذه وإليه يرجع السبب فى إنشائها وإن لم تكن قد حققت منه أى شىء ... وبدورى أسارع فأقول إن للمسارح القوميـة فى بلاد النرويج أغراضاً ترى إليها، وبرامج من اللازم أن تنفذ ما جاء فيها، وإلا تعرض القائمون بالأمر فيها للمسئوليات الجسام من مادية وأدبية . ولعل أهم ما أنشئت من أجله هذه المسارح هو تمهيد الحقل الفكرى لإنتاج أدب الدراما المحلية . ولا بأس فى نفس الوقت من إعطاء فكرة عن تطور الأدبيات المسرحية فى أمم العالم وعرض صور منها بين قديم وحديث ، إلا أن التجاريب دلت على أن البرامج ذات المسرحيات « الكلاسيكية » التى يتكلف إخراجها الشىء الكثير من المال لا تحدث تغييراً محسوساً فى الإيرادات ولا ترتفع بالميزانية إلى درجات خطيرة ، ومن هنا ظهرت قيمة الشعب الروحية وبرهن جمهور النظارة على أن له رغبة يجب أن تطاع، وأثبت للقائمين بالأمر المسرحى أن بيده توجيه الحركة الفكرية والإنتاج الفنى إذ أقبل بكثرة على المسرحية العصرية « والأوبريت » وفضل الـ Varces على الـ « كلاسيك »

وقد أثرت السينما فى المسرح النرويجى كما أثرت فى نفس الوقت على جميع مسارح العالم؛ وهذا شىء ملموس بطبيعته . ولعل أهم ما فيه هو رخص أسعار دور السينما وتكرار الشاهد فيها وسرعة تغيرها . . . ولكن الأثر الذى أحدثته السينما فى العالم المسرحى شىء وما أحدثته فى بلاد النرويج شىء آخر ، أحدثت ما يمكن أن نسميه بالموقف الغريب إذ لم يسبق أن وقفت الحكومة فى أى دولة من دول العالم مثل الموقف الذى وقفته حكومة النرويج من أزمة المسارح وكسادها بسبب منافسة السينما لها ، إذ راحت البلديات النرويجية تساعد بالمال كل مسرح قوى، ولكن هذه المساعدات المتكررة لم تستطع موازنة المالية كما أنها لم تؤثر فى الإيراد ولم تصلح الميزانية العامة، الأمر الذى أجبر الحكومة على التنازل للمسارح هناك عن جزء كبير من إيرادات اليانصيب الحكومى، وقد حدث هذا فى مستهل عام ١٩٢٧

والأدب المسرحى النرويجى يكاد يكون الأدب الوحيد الذى يقوم على دعائم قوية معززة ، فتراه يطرق السياسة ويحلل أساليبها، ويتحدث عن الاجتماع والإصلاح وينقده، ويطلع الشعب على آراء جديدة فى الفلسفة واللاهوت دون أن ينسى السخرية من بعض النظم والرغبة فى هدم القديم ليقوم على أنقاضه جديد مدعم البنيان . والنهضة الأدبية المسرحية هناك تقوم على أكتاف الشباب الذين أذكر منهم الكاتب المسرحى الراديكالى : « نورداهل جريج » Nordahl Grieg الذى يحبه الشعب ويعرف فيه ميله إلى السلم وكثرة دعوته إليه فى كل كتاباته، وزميله هلج كروج Helge Kaog الذى تشبع بروح الكاتب الإيرلندى الساخر برناردشو وحاكاه فى كتاباته ونقده اللاذع فى الوقت الذى لم يفته فيه أن يخرج للناس مسرحيات قوامها علم النفس الحديث وبعض مشاكل المجتمع

وحدث فى عام ١٩٣٥ أن أرادت الحكومة دراسة حالة المسرح فى النرويج فصدر أمر إدارى بتعيين لجنة فنية لكتابة تقرير واف عن المسرح ومدى تقدمه وما ينتظر له فى مستقبله وأوجه النقص فيه وكيفية إصلاحها . . . وباشرت اللجنة عملها ودرست المسرح النرويجى دراسة وافية ، ثم وضعت تقريراً لست فى حاجة إلى نقله، بل أفضل تلخيصه ليستوعبه أفراد الهيئات الفنية فى مصر :

« يجب على الحكومة والمجالس البلدية أن تضاعف قيمة الإعانات التى تقدمها للمسرح القومى كى يستطيع أن ينهض بأعباء الرسالة المقدسة التى اضطلع بها، وكى يشرف الإسم الذى يحمله كما يجب على الحكومة أن تسرع فى سن قانون يحدد مراكز المسارح ويضمن تغطية نفقاتها ... »

ورأى هؤلاء الخبراء أن يعمدوا إلى طرق منطقية لترقية المسرح وكان أن اقترحوا ضرورة تعميم الإذاعات الأثيرية من مسرح الملكة « Rihsteater » كى يسمعها سكان القرى البعيدة فيأخذوا من المسرح فكرة أولية تنمو مع الأيام فتستحيل حباً وإعجاباً .

وبلاد النرويج تكاد تكون الوحيدة بين بلدان العالم التى تعنى بتربية الناشئة تربية ثقافية فنية، فتراهم يلقنون الطفل فى المدرسة حب المسرح وذلك لخلق جيل جديد يتفهم الرسالة المسرحية ، ويعمل مخلصاً على رفعة المسرح القومى فأنشأوا للأطفال « الجماعات التمثيلية المدرسية » وشجعوا الطفل على ارتياد المسارح بأجور زهيدة حتى إذا شب علق بهذا الفن وأصبح يرى فيه إحدى ضروريات الحياة .

والممثل فى النرويج يعيش فى بحبوحة من الرزق لأنه يتبع النظم ويسير وفق القانون وينفذ بنود العقد المرتبط به ، ولا يخل بشرط منها مهما كانت الأسباب قوية واضحة . إنهم هناك يحترمون العقود ويقدسون إمضاءاتهم على العكس من السادة ممثلينا من فطاحل المسرح المصرى الذى نسمع بالواحد منهم وقد وضع إمضاءه على أكثر من عقد وفى أكثر من فرقة

أما أصحاب المسارح هناك فيحبون ممثليهم ويعملون على نصرتهم وجمع شملهم ، وتوحيد صفوفهم ، وذلك بمساعدتهم على إنشاء النقابات الفنية وإعطائهم المعاش عند بلوغهم سنا معينة

هذا هو نموذج من المسرح القومى ، وتلك لعمرى الطرق الفعالة لرفعة هذا الفن الجليل الذى بحت أصوات الكثيرين فى مصر من جراء تكرار المناداة بإصلاحه حتى هبت الحكومة من غفوتها ولبت النداء بأن وكلت أمر أهل الفن إلى من لا علاقة لهم بالفن فات التمثيل ، واللجنة العليا لترقيته تعقد الاجتماعات للنهضة به ورفع مستواه !

ابراهيم حسين العقاد

حول مجنون ليلى

كتب محرر الصفحة السينمائية عن مجنون ليلى ما كتب بأسلوب كالسب موجهاً إلىّ وإلى الأخوين ابراهيم وبدر لاما قائلاً فيما يخصنى من هجومة أننى أحد الذين يؤلفون لصالات الدرجة الثالثة فى شارع عماد الدين

وأى ضرر على الكاتب أن يكتب للصحافة أو للمسارح بالأسلوب التجارى الذى يقوم بأود حياته ما دامت كتابته لا تمس جوهر الفن فى نفسه .

إنى لم أكتب كلمتى هذه متبرماً بنقد ناقد فإنى ممن يؤمنون بفائدة النقد وجدواه ولكن على أن يكون نقداً لمجرد النقد لا أن يكون هجوماً لمجرد الهجوم ، فحضرة الكاتب لم ير شيئاً حتى يحكم عليه؛ وما يدريه لعلنى وأنا لست بذى الإسم الرنان أن أكون قد وفقت فى كتابة حوار القصة وأشعارها توفيقاً قد يعجب ويرضى، وكان عليه أن ينتظر حتى يرى الثمرة بعد أن تخرج للناس ثم يحكم عليها بعد ذلك حكمه

السيد زيادة



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المجدولي — عابدين)